لماذا تكون معاداة السامية جريمة ومعاداة الإسلام حرية رأى؟

أصبح سلمان رشدى من أهم المجندين فى الحرب على الإسلام. وسلمان رشدى اسم اكتسب شهرة عالمية لا يستحقها، فهو فى حقيقته كاتب روائى من الدرجة الثانية، وهو هندى الأصل، يحمل الجنسية البريطانية، كان مسلما ثم أعلن عدم إيمانه بالإسلام دينا. ولكنه لم يكتسب الشهرة الواسعة إلا بروايته (آيات شيطانية)، وبعد فتوى الخومينى بإهدار دمه وإباحة قتله وتخصيص مكافأة لمن يقتله. وازدادت شهرته وأصبح نجما من نجوم المجتمع البريطانى، ينافس نجوم السينما، وترجمت هذه الرواية إلى عدة لغات، وبيعت منها ملايين النسخ، وانهالت عليه الشهرة، ووجهت إليه الدعوات لزيارة الولايات المتحدة ودول أوربية عديدة، وهو فى الولايات المتحدة يُستقبل استقبال الملوك، مقابل ما يكتبه من مقالات تساهم مساهمة كبيرة فى صناعة الكراهية للإسلام. وما يكتبه سلمان رشدى يترجم على الفور إلى أكثر من لغة، وكأن هناك جهة مَّا وجدت فيه ضالتها المنشودة، لأنه - كما يتصورون - يعرف الخبايا والأسرار فى الإسلام، وما دام الخومينى بنفسه قاد الحملة عليه، وهاجمته كل المؤسسات الدينية والإعلامية فى العالم الإسلامى، فلابد أن ما يقوله يصيب نقاط الضعف ويثير غيظ المسلمين ويقدم أكبر خدمة لمن يريدون تشويه صورة الإسلام فى الغرب، وإثارة حفيظة المسلمين، وزيادة الوقيعة بين الغرب والإسلام.

وكان إجماع النقاد فى الغرب على أن الرواية لا تستحق شيئا من الاهتمام الذى لقيته؛ فالأسلوب معقد وسخيف، والبناء الروائى مفكك، وهى فى مجملها رواية ركيكة ومملة. وكل ما فى الموضوع أن المؤلف ملأ صفحاتها بالسب والقذف فى الإسلام والقرآن والرسول ﷺ وصحابته وآل بيته، وأعلن أنه فخور لأنه تخلص

من هذا الدين ومعتقداته وقال إنها معتقدات تدل على تخلف الشعوب الإسلامية، واستخدم ألفاظا بذيئة، واختلق وقائع كاذبة نسبها إلى الرسول ﷺ. ولم يترك شخصية لها قدرها فى التاريخ الإسلامى إلا وجّه إليها السباب والاتهامات بألفاظ مقذعة، وأشار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باسم (ماهاوند) وقال عنه عليه الصلاة والسلام: إنه شرير، ونبى مزيف، مصاب بالصرع، ومعرض لنوبات من الهلوسة، ولا يتورع عن القيام بأى عمل مهما يكن متعارضا مع الأخلاق ما دام يحقق له أغراضه، ويصور زوجات الرسول - أمهات المؤمنين - على أنهن مجموعة غانيات يعملن فى بيت للدعارة يحمل اسم (الحجاب)، وتروى كبيرتهن كيف تزوجها النبى هى والسيدة عائشة فى يوم واحد، ويصور كبير الملائكة من مؤيدى اللواط، وجبريل عليه السلام على أنه بذىء اللسان، ويدّعى أن الشيطان خدع الرسول ﷺ وأجرى على لسانه عبارات ادعى الرسول أنها آيات منزّلة من الله تذكر أوثان الجاهلية: اللات، والعزى، ومناة، على أن لها شفاعة عند الله، ويدّعى أيضا أن الصحابى الجليل سلمان الفارسى - رضى الله عنه - قام بتزوير القرآن وخدع بذلك الرسول ﷺ.

وقال سلمان رشدى فى روايته ما هو أكثر من ذلك مما سبق أن أشرت إليه فى أحد فصول كتابى (الغرب والإسلام).

وأرجو أن يسامحنى الله، ويسامحنى القارئ، لأننى لا أستطيع تكرار كل ما قاله، وإن كنت أعلم أن ناقل الكفر ليس بكافر، وأن واجب المسلمين أن يعرفوا ماذا يقال عن دينهم ورسولهم وقرآنهم، لأن تجاهل ذلك يجعلنا نعيش فى عالم غير واقعى وندفن رؤوسنا فى الرمال لكى ننكر الأمور التى يعرفها ويصدقها ويتناقلها كثيرون فى الغرب.

وليست رواية سلمان رشدى وحدها المليئة بالسموم، ولكن تصريحاته وأحاديثه الصحفية ومحاضراته فيها ما هو أكثر بشاعة، ومقالاته التى تنشرها الصحف البريطانية والأمريكية تقطر سما.

فى صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية كتب مقالا بعنوان (كفى تطرفا) No More Fanaticism as Usual فى عدد ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٢ يقول فيه: لقد مر أسبوع

مظلم فى عالم الإسلام العجيب، فقد نشأ صدام بين الإسلام ومنظمى مسابقة ملكة جمال العالم، حين تجرأت بعض المشتركات فى المسابقة وأعلنتْ الاعتراض على حكم أصدرته محكمة نيجيرية تنفذ الشريعة الإسلامية فى أحكامها، وكانت القضية على امرأة نيجيرية أدينت بارتكاب جريمة الزنا، فحكمت عليها المحكمة بتطبيق الشريعة الإسلامية بالرجم بالحجارة حتى الموت، واحتجاجا على هذا الحكم هددت المتسابقات القادمات من جميع أنحاء العالم بمقاطعة المسابقة، فاضطرت حكومة نيجيريا إلى الإعلان بأنها لن تنفذ الحكم. وبعد ذلك تجرأت كاتبة نيجيرية اسمها (ايسيوما دانيال) فى مقال نشرته فى صحيفة مسيحية تصدر فى العاصمة النيجيرية قالت فيه: لو كان النبى محمد (ﷺ) حيا اليوم، ربما كان سيتزوج واحدة من أمثال تلك المرأة الفاجرة التى تظهر بمايوه أمام الناس!. وبدأ المسلمون فى نيجيريا الاحتجاج على هذا المقال، ويقول سلمان رشدى (لقد بدأ المؤمنون المسلمون المهمة المقدسة التى يدعوهم إليها دينهم وهى: القتل، والنهب، والحرب، والدعوة إلى قطع رأس كاتبة المقال.

وقال سلمان رشدى أيضا فى مقاله: من يستطيع أن يلوم هؤلاء المسلمين إذا كان رئيس نيجيريا نفسه قد ألقى اللوم على الصحيفة وكاتبة المقال، كما ألقى اللوم أيضا على سيدات من أصل بريطانى جريمتهن فى نظره أنهن من أنصار المساواة بين الرجل والمرأة لأنهن أظهرن الاستياء من القرار الذى صدر بنقل مسابقة ملكة جمال العالم من نيجيريا وإقامتها فى بريطانيا. وقال سلمان رشدى: يبدو أن فكرة إلقاء المسئولية على القتلة والذين قاموا بعمليات السرقة والنهب وإشعال الحرائق بعيدة عن اهتمام المسلمين!

وقال: إن ما حدث من المسلمين فى نيجيريا حدث مثله فى جمهورية إيران الإسلامية، فقد ثار المسلمون ضد واحد منهم له تاريخ سياسى مجيد فى تنفيذ تعاليم الإسلام هو (هاشم أغاياري) الذى فقد إحدى ساقيه فى المعركة الإسلامية الشهيرة حين استولى الطلبة على السفارة الأمريكية فى طهران واعتبروها (سفارة الشيطان الأكبر) بقرار من رجال الدين الذين تولوا قيادة الثورة الإسلامية الطائشة - على حد قوله - وكان سبب الثورة على هاشم أغاياري أنه وجّه انتقادا إلى آيات الله من الجناح المتشدد الذين يسيطرون على مقاليد الأمور فى الدولة،

ويقول سلمان رشدى: ليس من الضرورى أن يكون لديك أفكار وقحة عن النبى (ﷺ) لكى تستحق القتل، فإن إثارة مشاعر المسلمين أمر سهل ولأى سبب أقل من ذلك بكثير. ولكن آلاف الشباب الإيرانيين قاموا بمظاهرات احتجاج اعتراضا على حكم الإعدام على الكاتب الإيراني هاشم أغاياري فى قضية من قضايا الرأى ليس فيها مساس بالعقيدة من قريب أو بعيد، وكان رد فعل المرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله على خامئنى معارضا لهؤلاء الشباب المؤيدين للإصلاح. وجاء فى بيانه إليهم عبارات التوبيخ. وكان بذلك إشارة البدء للهجوم المضاد على الإصلاحيين عموما، فقد حرك أكثر من عشرة آلاف شاب من المتطرفين طافوا بشوارع طهران لإعلان تأييدهم للإسلام المتشدد ومعارضتهم للدعوة إلى الإصلاح أو التسامح.!

ويمضى سلمان رشدى فى تعبئة مشاعر القارئ الغربى ضد العالم الإسلامى كله فيقول: إن فى مصر أيضا كان مسلسل تليفزيونى (فارس بلا جواد) يعرض للجماهير العريضة ويدعو إلى معاداة السامية، ويتحدث عن (بروتوكولات صهيون) على أنه كتاب حقيقى فيه المخطط اليهودى السرى للاستيلاء على العالم، بينما هو كتاب مزيف، وثبت منذ عهد بعيد أنه وثيقة مزورة من صنع البوليس السرى التابع للقيصر نيقولا الثانى وتم تسريبها كحقيقة تاريخية. وطبعا لا يذكر سلمان رشدى أن مصر ليست فيها معاداة للسامية، ولكن فيها رفض لاعتداءات إسرائيل على الأرض والشعب الفلسطينى. ولا يذكر أن كل ما جاء فى هذا المسلسل أن هناك كتابا وقع فى يد بطل الرواية أراد أن يعرف ما فيه وعملت منظمة صهيونية على منعه من الوصول إليه، وانتقل البطل من الكتاب إلى الواقع فذهب ليساهم فى الدفاع عن فلسطين فى مواجهة العصابات الصهيونية التى كانت تغتصب أرضها وتقتل شعبها دون تمييز ولا تستثنى النساء أو الشيوخ أو الأطفال.

لا يذكر سلمان رشدى شيئا من هذه الحقائق طبعا، لأنه لو ذكر شيئا منها لحرم من الأضواء والأموال التى تنهال عليه، ولذلك قال: نعم، هذه هى مصر نفسها التى تخضع فيها وسائل الإعلام للرقابة الشديدة لمنع أية كلمة تمس

السلطة، ولا تمنع بطل المسلسل من القول بأنه يمارس حرية الرأى حتى لو كان هذا الرأى فيه إساءة إلى الصهيونية، وهو يعلن الوعود بأن يقدم المزيد!

ولا يكتفى سلمان رشدى بتمرير الكذبة المعهودة عن أن الإعلام فى مصر مقيد برقابة شديدة، لأن مثله لا يمكن أن يفهم ولا يريد أن يفهم أن فى مصر الآن حرية إعلام، وحرية رأى، ولو أراد أن يفهم ذلك فما عليه إلا أن يقرأ الصحف الحزبية، بل والصحف القومية التى يسميها هو وأمثاله صحفا حكومية، وأن يشاهد ندوات التليفزيون، أو يشاهد الأفلام التى تهاجم الفساد وتوجه النقد إلى الوزراء وتهاجم رئيس الوزراء وسياسات الحكومة.. الخ.

ويقول سلمان رشدى بعد ذلك: دعنا لا ننسى القصة المروعة للسيدة الهولندية المسلمة (آيان هيرسى على) التى اضطرت إلى الفرار من هولندا لأنها قالت: إن الرجال المسلمين يضطهدون المرأة المسلمة، وأغضب هذا القول الرجال المسلمين إلى الدرجة التى أدت إلى توجيه تهديدات لها بالقتل!

ويتساءل سلمان رشدى بخبث: هل جمع كل هذه الأفعال البشعة معا فيه ظلم للإسلام؟ ويجيب: ربما..! ولكن جمع هذه الأحداث المختلفة معا يكشف عن شىء مشترك بينها؛ فقد اتُهمت آيان هيرسى الهولندية بأنها (سلمان رشدى الهولندية)، واتُهم آغاياري بأنه النسخة الإيرانية من سلمان رشدى، واتُهمت ايسيوما دانيال بأنها النموذج النيجيرى لسلمان رشدى، ومنذ شهرين قلت إننى أكره ما يفعله الإسلاميون فى العالم حين يجعلون اسمى شعارا، ولكنى بدأت أعيد التفكير فى هذا الموقع الذى وضعونى فيه، إذ يبدو لى الآن أنه ليس سيئا إلى الدرجة التى كنت أتصورها، فأن تكون سلمان رشدى ومعك أشخاص آخرون يعتنقون أفكارك ويطلق الآخرون عليهم سلمان رشدى، فأكون واحدا بين كثيرين من أمثالى، فإن ذلك يدفعنى إلى الشعور بالرضا والفخر بهذه الجماعة التى أنتمى إليها.. وعلى الرغم من كل شىء فأين الغضب من المسلمين تجاه كل هذه الأحداث.. وكيف يسكت المسلمون على هؤلاء الذين اختطفوا حضارتهم القديمة بما كان فيها من الحب، والتفكير الفلسفى، والفن؟ لماذا لا يصرخ المسلمون رفضا لما يفعله دعاة العنصرية، واضطهاد المرأة وسيادة الذكور، والمتعصبون، وأنصار

الاستبداد والعنف..؟ على الأقل فى إيران يتظاهر الطلبة، ولكن أين يستطيع الإنسان أن يسمع فى العالم الإسلامى أصوات المسلمين الذين يدعون إلى التسامح والعدالة ويستنكرون ما يفعله المسلمون المتطرفون فى نيجيريا، ومصر، والدول العربية، وهولندا؟ وحتى المسلمون فى الغرب فإنهم أيضا صامتون بصورة غير طبيعية على هذه الأمور الشائنة، وإذا كانت هناك أصوات تعلن رفض هذه الأعمال من المتطرفين فنحن لا نستطيع سماع أصوتهم..!

وهذه هى العبارة الوحيدة التى قالها سلمان رشدى ومعه الحق فعلا.. فهناك أصوات كثيرة جدا، وعالية جدا، ترفض وتدين التطرف والإرهاب والعنف باسم الإسلام، وتشرح حقيقة الإسلام على أنه دين التسامح، والحب، والتعاون مع سائر البشر دون تفرقة، لأن من قواعد هذا الدين أن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود على أساس اللون أو الجنس أو الدين، ولكن هذه الأصوات التى تنطق بالصدق لا تصل إلى الغرب بدرجة كافية.

سلمان رشدى لا يريد، وربما لا يستطيع أن يصرح بأن الإسلام أول دين أرسى مبادئ حقوق الإنسان، والحرية الدينية، ويكفى أنه أطلق الحرية بغير حدود ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف - ٢٩ -) فهل بعد ذلك جدل حول الحرية الدينية فى الإسلام.؟

ويختم سلمان رشدى مقاله الملىء بالسموم بقوله: إذا كانت الأصوات المعتدلة فى الإسلام لا تستطيع وليس لديها العزيمة للإصرار على تحديث ثقافتهم، وتحديث عقيدتهم أيضا، فقد يكون على المسلمين الذين يعتبر كل منهم (سلمان رشدى) هم القادرين على القيام بذلك، وكل واحد منهم وإن كان يواجه الاضطهاد والإنكار فإنه سيكون سببا فى ظهور اثنين.. أو عشرة.. أو ألف (سلمان رشدى)، وهؤلاء سوف يكونون قادرين على النهوض بهذه المهمة، لأن عقول الناس ومشاعرهم واحتياجاتهم لن يستطيع أحد إبقاءها أسيرة هذا السجن إلى الأبد! والعالم الإسلامى اليوم فى سجن ليس على يد الغربيين ولكن على يد المسلمين الذين يقاتلون من أجل الإبقاء على أبواب العالم مغلقة فى مواجهة قلة تحاول فتح الأبواب المغلقة لهذا السجن.. ومادامت الأغلبية صامتة، فسوف

تكون هذه الحرب حربا يصعب على المعتدلين تحقيق الفوز فيها، ولكن فى النهاية، سوف يحطم شخص ما أبواب هذا السجن، أو هذا ما نأمل حدوثه.

سلمان رشدى مستمر وبقوة فى الإساءة إلى الإسلام، ولا أحد يرد عليه، فالبعض يظن أن التجاهل هو أفضل وسيلة للرد على هذا الفكر المعادى، والبعض ينبرى للرد عليه أمام المسلمين فى داخل البلاد الإسلامية وباللغات التى لا يعرفها الغرب.. متى ندرك أن السكوت يفهم فى الغرب على أنه علامة الرضا أو على الأقل علامة ضعف الحجة فى مخالفة هذه الاتجاهات العدائية.. والأهم من ذلك إذا كنا نكلم أنفسنا، لإقناع أنفسنا بأن أمثال سلمان رشدى تنطوى قلوبهم على حقد أسود ولا يصلح معهم حوار أو جدل، وندافع عن الإسلام أمام أنفسنا وبلغاتنا، دون أن نذهب إلى هناك ونخاطب الغرب بلغته، فلماذا نلوم الغرب ونحمله وحده مسئولية الدفاع عن الإسلام إذا كنا نحن لا نفعل ذلك بعمل يومى وبكل الوسائل..؟

قبل هذا المقال كتب سلمان رشدى فى صحيفة الجارديان البريطانية مقالا بعنوان (خطة للعقول المغلقة) فى عدد ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٢ علّق فيه على رواية (بلا تفورم) للكاتب الفرنسى ميشيل هوليبيك وما فيها من قذف وإساءة للإسلام. وقد رفعت أربع هيئات إسلامية وأكبر مسجدين فى فرنسا دعوى أمام القضاء الفرنسى بطلب محاكمته بتهمة العنصرية والتحريض على كراهية ديانة المسلمين، وانضم إليها الاتحاد الوطنى للمسلمين الفرنسيين. ولكن سلمان رشدى يدافع عن هوليبيك ويقول: إنه أهم الكتّاب الفرنسيين الموهوبين، وقد حصل لذلك على جوائز متعددة، مما يلزم كل الرجال الصالحين الوقوف إلى جانبه ومساعدته، ويضيف: إن الاتهامات الموجهة إليه تافهة وسخيفة، ومن هذه الاتهامات أنه فى مقابلة صحفية مع مجلة (لير) Lire الفرنسية فى العام الماضى قال عن الإسلام: (إنه دين غبى)، وقارن بين القرآن والكتاب المقدس وقال: إن الكتاب المقدس (على الأقل مكتوب بشكل جميل، لأن اليهود يتمتعون بالموهبة الأدبية) ويقول سلمان رشدى: ربما أثار هذا التعليق من هوليبيك واحدا أو اثنين من غير المسلمين، لأن هوليبيك نسب الموهبة الأدبية إلى اليهود وحدهم مما يعنى أن كتّاب العهد الجديد المسيحيين ليست لديهم مثل هذه الموهبة. ومع ذلك

لم يتحرك المسيحيون ضد هوليبيك، لأن الفرد فى أى مجتمع إذا لم يكن حرا فى أن يقول علانية رأيه وأنه يفضل كتابا على آخر، فكيف يمكن لهذا المجتمع أن يعتبر نفسه مجتمعا حرا، وبالمثل فإن أى مسلم يقول إن القرآن أفضل من الكتاب المقدس فعليه أن يتقبل الإدانة لإهانة غير المسلمين، والصحافة هى التى ستصدر الحكم!

أما عن قول هوليبيك بأن الإسلام أغبى دين فإن سلمان رشدى يقول: هذه وجهة نظر! وهناك نقطة يجب أن تكون مفهومة هى أن مهاجمة أفكار أو معتقدات أو نظم أو أيديولوجيات الناس لا تعنى مهاجمة هؤلاء الناس، وهذا بالتأكيد مبدأ من المبادئ الأساسية للمجتمع المفتوح. ولكل مواطن أو جماعة حق الشكوى من التمييز العنصرى. ولكن لا يحق لهم الشكوى من عدم قبول أفكارهم أو من إعلان رفضها، حتى وإن كان التعبير عن عدم القبول أو الرفض بأسلوب غير مهذب، لأنه لا يمكن قبول وجود أسوار لحماية الأفكار، أو النظريات الفلسفية، أو الاتجاهات، أو المعتقدات من النقد أو الرفض. ويقول سلمان رشدى إن رواية بلاتفورم التى قدمت فى الدعوى تحكى عن تجارب وحياة شخصية بطلها واسمه ميشيل أيضا مثل اسم المؤلف، وقد قتله رجل مسلم، ومن خلال سرد الأحداث والمشاعر يذكر هوليبيك ملاحظات قاسية فيها ازدراء للمسلمين، والغرض الذى يطرحه الكاتب فى هذا النقد الساخر من الإسلام والمسلمين أنه يعبر عن صعوبات واجهها المؤلف فى حياته الخاصة. لأن هوليبيك اسمه الحقيقى (ميشيل توماس) وقد أخذ لقب جدته بعد أن تزوجت والدته رجلا مسلما واعتنقت الإسلام. وحيث تُعتبر حياة الكاتب وسيرته الذاتية هى المفتاح الرئيسى لفهم معنى رواياته، وحيث يُعتقد أن الروايات مستمدة من قصص حقيقية مستترة، فإن التفاصيل التى عانى منها المؤلف هوليبيك فى حياته هى التى دفعته إلى رفع صوته تعبيرا عن الاندهاش والسخرية. وقال: يجب أن يكون من حق المؤلف خلق شخصيات من جميع الأنواع. ولا يمكن إجبار المؤلف على خلق شخصيات طيبة وعدم خلق شخصيات شريرة. وإذا كان الكتّاب والروائيون لا يستطيعون وصف النازيين، والمتطرفين المسلمين، دون أن توجه إليهم اتهامات بأنهم هم أنفسهم نازيون أو متطرفون، فإنهم فى هذه الحالة لن يمكنهم القيام بعملهم كما يجب.

ويقول سلمان رشدى فى ختام هذا المقال دفاعا عن هوليبيك: إن الذين يوجهون الاتهام إلى هوليبيك بمعاداة الإسلام يدَّعون أنهم يفعلون ذلك نتيجة خوفهم من أن تؤدى كتابات هوليبيك وأمثاله إلى زيادة موجة العداء ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب بعد ١١ سبتمبر، ولكنهم أخطئوا التقدير لأن الذى يزيد العداء للإسلام والمسلمين ليس ما كتبه هوليبيك، ولكن الذى يزيد العداء هو هجومهم على الكاتب. وهذا الهجوم هو الذى يؤدى إلى الانتكاسة فى هذا الوقت الحساس، وإذن فقد خسر الجانبان القضية، فقد تم تدمير سمعة هوليبيك، وكشف خصومه المسلمون أنفسهم مرة أخرى، وأظهروا أنهم معارضون لعالم يؤمن بحرية القول.

سلمان رشدى يكتب مقالاته ويؤسسها على مغالطات: أولها أنه اعتبر مجرد الإشارة إلى البروتوكولات فى مسلسل (فارس بلا جواد) معاداة للسامية وطالب بمنعه وتدخل الدولة، وفى نفس الوقت اعتبر إهانة الإسلام فى رواية هوليبيك مجرد عمل فنى فى عالم حر يؤمن بحرية القول..! وثانيها.. إنكار أن القانون الفرنسى يحظر معاداة السامية، وسبق أن حوكم المفكر الفرنسى الكبير روجيه جارودى بتهمة معاداة السامية لأنه أعلن رأيه فى أن ضحايا اليهود فى معسكرات النازية لم يكونوا ستة ملايين وأنه يعتقد أنهم كانوا أقل من ذلك ولا يوجد دليل على صحة هذا الرقم.. لم يشكك فى وجود معسكرات تعذيب.. ولم يشكك فى وجود ضحايا.. فقط أراد دليلا يؤكد صحة الرقم العلنى عن عدد الضحايا.. ومع ذلك واجه الاضطهاد ولم يرحموه فى شيخوخته.

لماذا تكون معاداة السامية جريمة عظمى لا تغتفر، ولا تكون كذلك معاداة الإسلام؟!

وكلمة الحق تجد أحيانا من يقولها فى الغرب فقد قالت الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى) يوم ١٦ سبتمبر ١٩٩٨ - قبل أحداث سبتمبر بعامين كاملين - تحت عنوان: (الصحافة البريطانية تشعل الإسلاموفوبيا (مرض الخوف من الإسلام) وقالت: إنه بعد حادث تفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا فى أغسطس ١٩٩٨ شعر العالم بصدمة. وعندما وجه الاتهام إلى أسامة بن لادن تزايد القلق لدى المسلمين من أن تؤدى هذه الأعمال المنسوبة إلى مجموعة واحدة من الراديكاليين إلى ردود فعل سيئة على المسلمين فى مناطق أخرى من العالم

ولا شأن لهم بتنظيم القاعدة أو زعيمه ابن لادن، ولذلك أصبح المسلمون فى بريطانيا يشعرون بالخوف من أن تسيء أفعال المتطرفين إلى المعتدلين المسلمين. ويعتبر المسلمون وسائل الإعلام البريطانية المسئولة عن ذلك، لأنها تشعل النار فى (الإسلاموفوبيا) وتعوق بذلك المساعى لاندماج المسلمين فى المجتمع البريطانى، وتشجع على تصاعد نزعة التمييز ضدهم. ويعتبر قادة المسلمين أن الصحفيين البريطانيين يميلون إلى إغفال الحديث عن المسلمين الذين يعتنقون آراء أكثر اعتدالا، ويركزون مقالاتهم وأخبارهم وتعليقاتهم على المسلمين المتطرفين مما يعطى للرأى العام البريطانى انطباعات مثيرة عن الإسلام والمسلمين عموما. فالمسلمون المعتدلون فى أنحاء العالم، وفى بريطانيا، يرفضون أعمال المتطرفين، ولكن الصحافة البريطانية تتجاهل هذا الموقف، وأشارت الإذاعة البريطانية إلى مدير لمؤسسة إسلامية للرعاية الاجتماعية اسمه يوسف بهلوى قال: إن عددا من المندوبين الصحفيين والكتّاب اتصلوا به وسألوه عن رأيه فى الأعمال التى يقوم بها المتطرفون الإسلاميون وخاصة تفجيرات كينيا وتنزانيا، فعبّر لهم: عن رأيه فى إدانة هذه الأعمال الوحشية التى لا تعبر عن الإسلام، وقال لهم إن الإسلام يرفض قتل المدنيين الأبرياء عشوائيا، ويرفض إرهاب الناس، وإن الإسلام دين سلام وليس دين عدوان. فلما اكتشفوا أنه يتحدث معارضا هذه الأعمال الوحشية وينكر أنها أعمال تمثل الإسلام والمسلمين لم يعجبهم ما قاله ولم ينشروا كلمة منه، لأنهم كانوا يريدون مسلما يقول لهم ما يريدون أن يسمعوه ويعلن تأييده لهذه الجماعات الإرهابية وابتهاجه بما فعلوه باسم الإسلام!

وقالت الإذاعة البريطانية تعليقا على ذلك إن القلق يزداد بين المسلمين نتيجة تزايد المشاعر العدائية للإسلام فى بريطانيا، ويزيد من هذا القلق لدى المسلمين فى بريطانيا عدم وجود صوت موحد يعبر عنهم.

وأشارت الإذاعة البريطانية إلى إنشاء المجلس الإسلامى فى بريطانيا عام ١٩٩٧ الذى يسعى إلى مواجهة التحامل على المسلمين، ومقاومة التمييز ضدهم، والرد على الأسلوب المتطرف المعادى لهم فى الإعلام وفى المجتمع البريطانى، وقد عبّر أحد أعضاء هذا المجلس عن الدور الذى يحاولون القيام به فقال: إنه يتمثل فى كبح جماح الراديكالية الإسلامية فى بريطانيا،

والتعبير عن الجيل الجديد من المسلمين فيها، وهو جيل ليس مستعدا لتقبل التمييز العنصرى، وإذا وجدوا قوى تدفعهم إلى الحائط وتشعرهم بالإحباط وفقدان الأمل فى المساواة فسيكون لهم رد فعل، وقد يتحولون إلى القيام بأعمال إرهابية لكى يصل صوتهم ويتم الاعتراف بحقهم فى معاملة بدون تمييز، وقال هذا العضو واسمه الدكتور زاكولا خان: (نحن نعمل على تجنب الوصول إلى هذه الحالة ولذلك نقاوم التمييز ضد المسلمين لكى يشعروا بالأمان والاستقرار).

هذا ما قالته الإذاعة البريطانية عن دور الإعلام البريطانى فى زيادة المخاوف من الإسلام والمسلمين كان ذلك قبل أحداث سبتمبر، ومن الطبيعى أن الأمور ازدادت سوءا بعد سبتمبر، وقد تم حشد جميع وسائل الإعلام فى الولايات المتحدة ودول أوربا لإثارة الخوف والكراهية أكثر وأكثر من الإسلام والمسلمين.

وفى صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية الصادرة يوم ١١ ديسمبر ٢٠٠٢ ما يؤكد أن الأمور ازدادت سوءا، فقد نشرت مقالا كتبه كريج سميث من باريس بعنوان (العنصرية ازدادت بعد ١١ سبتمبر) قال فيه: إن المسئول فى الاتحاد الأوربى المختص بمراقبة العنصرية حذر من تزايد الانحياز ضد المسلمين فى أوربا منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مع تفاقم الصراع الإسرائيلى الفلسطينى بعدها. وفى تقرير عن العنصرية فى أوربا تم تسليمه إلى قادة دول الاتحاد الأوربى الخمسة عشر أثناء اجتماع القمة الأوربية فى بروكسل، وهو من إعداد المركز الأوربى لمراقبة العنصرية وإرهاب الأجانب الذى يرأسه بوب بركيس، وفى هذا التقرير الرسمى الذى وضع أمام أعلى مستويات القيادة فى دول أوربا جميعا جاء فيه: أن العنصرية وصلت إلى حد من الخطورة لا يمكن السكوت عنه، بعد أن أصبحت جزءا لا يتجزأ من أوربا. وأصبح على قادة الاتحاد الأوربى التعامل مع العوامل الاجتماعية والاقتصادية التى تشعل العنصرية والتحامل، كما ذكر التقرير أن المضايقات التى يلاقيها المسلمون تزداد، وخصوصا السيدات اللاتى يضعن الحجاب.

والمهم أن رئيس مركز مراقبة العنصرية فى الاتحاد الأوربى وجه اللوم فى تقريره إلى وسائل الإعلام الفرنسية وإلى المعلقين والسياسيين؛ لأنهم يعملون على

إثارة العنصرية بمعالجاتهم لقضايا العولمة والبطالة والإسلام، وقال أيضا: إن السياسيين الأوربيين أطلقوا العنان للأحزاب اليمينية المتطرفة لإثارة المشاعر ضد الهجرة والمهاجرين والأجانب، رغم أن استمرار الهجرة ضرورى للنمو الاقتصادى فى الدول الأوربية، ولكن قادة الأحزاب اليمينية المتطرفة - كما قال - يتلاعبون بالسياسة ويسعون إلى تحقيق شعبية بإثارة المشاعر ضد المهاجرين بدلاً من التعامل مع القضايا الحقيقية التى تحتاج إلى التفكير والحوار بجدية.

وقد انتشر صدى هذا التقرير فى باريس حيث أبلغ وزير العدل الفرنسى، بيير بيديه الجمعية التشريعية الوطنية (البرلمان) بأن الأحداث الأخيرة تدل على زيادة تدعو للقلق فى الجرائم التى تقع بسبب معاداة المسلمين واليهود، وأن فرنسا وهى التى تضم أكبر عدد من المسلمين واليهود بين الدول الأوربية شهدت أكبر موجة للعنف المعادى للمسلمين واليهود، ونتيجة لذلك وافقت الجمعية الوطنية بالإجماع على مشروع قانون يشدد العقوبات على الأعمال العنصرية والأعمال المعادية للسامية. وأحيل المشروع إلى مجلس الشيوخ، وجاء هذا القانون الجديد ضمن برنامج واسع المدى لمحاربة الجرائم العنصرية تنفذه الحكومة اليمينية المعتدلة التى يرأسها جين بيير رافارين لإلزام المسئولين فى الأقاليم بإحالة المسئولين عن الهجمات العنصرية والمعادية للسامية إلى القضاء.

وهذه شهادة أخرى من أعلى هيئة فى أوربا بما يقوم به الإعلام فى أوربا ضد الإسلام والمسلمين. والغريب أن تهمة معاداة السامية تلاحق دون رحمة من يتناول اليهود أو اليهودية أو يوجه النقد إلى إسرائيل والحكومة الإسرائيلية، ولكن التمييز ضد المسلمين لا يجد مثل هذه الحماية أو نصفها.

وفى مجلة تايم الأمريكية واسعة الانتشار فى العدد الصادر فى ١٦ ديسمبر ٢٠٠٢ موضوعان عن الإسلام، الأول بعنوان (الوجوه الجديدة للإسلام) والثانى بعنوان (مكان على المائدة) قالت فى المقال الأول: إن المسلمين الأوربيين أصبحوا يعبّرون عن آرائهم، ويعيدون تقييم عقيدتهم، ومواقفهم من الاندماج فى المجتمعات الليبرالية العلمانية، ولذلك فإن الإسلام فى أوربا يمر الآن بمرحلة تحول. فقد رفع لاجئ كردى قادم من تركيا دعوى على وزارة الداخلية مطالبا بتعويض عن قرار بإلزامه بالإقامة الجبرية فى

مدينة جلاسجو الأمريكية حيث تعرض هو وأسرته لهجمات عنصرية وانتهاك لحقوقه الإنسانية. وفى باريس أقامت شابة جزائرية دعوى على رئيسها فى العمل لأنه أصدر قرارا بفصلها من العمل فصلا تعسفيا لمجرد أنها رفضت خلع الحجاب تنفيذا لأوامره.

وقالت التايم إن أوربا فيها ١٢ مليونا ونصف المليون مسلم يعانون من البطالة، ومنذ أحداث ١١ سبتمبر أصبحوا يعانون من تزايد مشاعر الخوف منهم وعدم الثقة فيهم من غير المسلمين، وقد ظهرت بوادر التوتر عندما حاولت الحكومة الفرنسية إنشاء مجلس إسلامى يتحدث بصوت واحد باسم المسلمين وتتعامل معه الحكومة. وبدأت المنظمات الإسلامية الفرنسية فى اختيار ممثليها بالانتخاب ولكن وزير الداخلية نيكولا ساركوزى ألغى هذه الانتخابات، عندما وجد أن أغلبية الأصوات سوف يحصل عليها اتحاد المنظمات الفرنسية الإسلامية وهو اتحاد يمثل أغلبية المساجد فى فرنسا التى يبلغ عددها ١٥٠٠ مسجد، والمشكلة أن هذا الاتحاد متحالف مع الإخوان المسلمين الذين يلزمون الفتيات بالحجاب فى المدارس الحكومية ولا تسمح الحكومة الفرنسية بذلك، وأمام أوربا طريق طويل عليها أن تقطعه قبل أن تسمح باعتبار الإسلام الدين الثانى فيها، ولكنَّ هناك جيلا من شباب المسلمين يعبّرون عن رفضهم للعنصرية والخوف من الإسلام، والأحكام الجاهزة التى تدين الإسلام. من هذا الجيل الجديد الناشط السياسى دياب أبو جهجاه Jahjah الذى يبلغ من العمر ٣١ عاما ويعيش فى بلجيكا وهو من أصل لبنانى. وكان رئيس وزراء بلجيكا قد اتهم دياب والاتحاد الأوربى العربى الذى ينتمى إليه بالتحريض على أعمال الشغب التى وقعت فى شوارع إحدى المدن عقب مقتل مدرس مغربى على يد رجل بلجيكى مريض عقليا. ولكن دياب حوَّل مزاعم رئيس الوزراء إلى نقد ومساءلة لتوجهات الحكومة البلجيكية من المسلمين الذين يبلغ عددهم ٤٠٠ ألف فى بلجيكا، وأثار دياب التساؤل: هل المسلمون فى هذه الدولة مواطنون من الدرجة الثانية؟. وماذا ستفعل الحكومة للقضاء على التوتر العنصرى المتزايد؟. ولماذا يعانى كثير من البلجيكيين المسلمين من الجيل الثانى من الشعور بالاغتراب؟. وهل يستمر الموقف فى هذه المدينة (انتورب Antwerp) حيث تزيد نسبة البطالة فى معظم مجتمعات المهاجرين

على ٣٠٪. ودياب وصل إلى بلجيكا من لبنان عام ١٩٩١ وفقا لسجلات الهجرة باعتباره لاجئا سياسيا، وأسس فى عام ٢٠٠٠ الاتحاد الأوربى العربى الذى يضم الآن ألف عضو من مختلف دول أوربا، وكان دياب قد ظهر فى مكان الحادث بعد مقتل المدرس المغربى بنصف ساعة، وقال إنه حضر إلى مكان الحادث لكى يحاول تهدئة المسلمين الغاضبين الذين ارتكبوا أعمال الشغب على مدار ليلتين كاملتين، وألقت الشرطة القبض عليه واتهمته بالمسئولية عن إثارة أعمال العنف، ولكن المحكمة حكمت ببراءته لعدم كفاية الأدلة. وبعد الإفراج عنه أعلن دياب أنه يحلم بإنشاء مجلس أوربى موحد للمسلمين العرب فى سائر دول أوربا يتمتع بسلطة تسمح له بالضغط على الحكومات الأوربية لكى تضع مصالح ومشاعر المسلمين فى حساباتها، خاصة أن المسلمين فى رأيه- كما قال- لهم ثلاثة مطالب أساسية: المطلب الأول أن يجد الأطفال المتحدثون باللغة العربية فرصة التعليم فى مدارس بلجيكية، والمطلب الثانى: إيجاد فرص عمل للمسلمين لحمايتهم من البطالة وما يمكن أن تؤدى إليها، والمطلب الثالث: السماح للمسلمين بالاحتفاظ بالعادات والثقافة الإسلامية دون اعتراض، وعلى سبيل المثال منع التمييز ضد الفتاة التى ترتدى الحجاب.

وفى مقال التايم حديث عن نموذج آخر لسيدة تدعى آن صوفى رولد Anne Sofie Roald سويدية اعتنقت الإسلام فى الثمانينات، وهى الآن أستاذ مساعد متخصصة فى العلاقات المصرفية والهجرة بجامعة مالمو Malmo بالسويد، وهى تقول دائماً: إن الذين يشاهدونها وهى ترتدى الحجاب لا يتقبلون ذلك منها، وحتى أسرتها لا تتقبل ذلك، على الرغم من أنها تعتقد أن السويد والنرويج ربما تكون أفضل الدول التى يمكن أن يعيش فيها المسلمون. إلا أن الظروف تغيرت، وأصبح الخلط شديداً بين الإسلام والسياسة، وعلى سبيل المثال فإن الجماعات الفلسطينية المناضلة ضد الاحتلال أضافت صبغة دينية إلى ما تقوم به من أعمال المقاومة التى كان يقوم بها من قبل فلسطينيون بدافع الوطنية. وبذلك أصبح العالم يحمّل الإسلام والمسلمين المسئولية عما يفعله هؤلاء المقاتلون، وكذلك الحال بالنسبة لما فعلته السودان، وما فعله ابن لادن. ومنذ ١١ سبتمبر أصبح النقد للإسلام يتزايد، وتقول آن صوفى إنها أثناء إلقائها إحدى المحاضرات قال لها أحد الحاضرين: إن الإسلام مصدر كل الشرور فى العالم.

والنموذج الثالث فى مقال التايم لسيدة أخرى اسمها آيان هيرسى على Ayaan Hirsi Ali وهى هولندية من أصل صومالى عمرها ٣٣ عاما كانت تعتنق الإسلام، ولكنها أعلنت فى ربيع ٢٠٠٢ أنها لم تعد مسلمة وقالت: إن الإسلام دين متخلف بأقصى درجة، وإن ملايين النساء المسلمات فى أنحاء العالم يعانين من الاضطهاد باسم الإسلام. وقالت: إنها ترفض ما فى القرآن من فرض البقاء فى البيوت على النساء، وما فيه من حق الأزواج فى ضرب زوجاتهن إذا لم يجدوا منهن الطاعة.

أما المقال الثانى فى تايم فهو بعنوان (مكان على المائدة) بقلم دانيال بنيامين Daniel Benjamin وستيفن سيمون Steven Simon وقد عمل كل منهما مستشارا لمجلس الأمن القومى الأمريكى من عام ١٩٩٤ حتى ١٩٩٩، ويقول المقال: إن أوربا كانت نقطة الانطلاق لهجمات ١١ سبتمبر وربما يكون الإرهابيون من الشرق الأوسط ولكن معسكرهم الأساسى كان فى أوربا. ومنذ ١١ سبتمبر قامت السلطات الأوربية بإلقاء القبض على أكثر من ٢٠٠ من الإرهابيين المشتبه فيهم، ولكن ذلك ليس كافيا، لأن الإسلاميين السياسيين الراديكاليين يقيمون فى أوربا ليس فقط لأنها وفّرت لهم اللجأ الآمن، ولكن لأنهم يعتبرونها أرضا خصبة لتنشئة جيل جديد من الإرهابيين. وعلى الرغم من الإنجازات الديمقراطية فى أوربا فإن معظم دولها ما زالت تفتقد القدرة على قبول التعددية، ولذلك فإن مجتمعات المهاجرين المسلمين يعيشون فى دول أوربا كعمال ضيوف ومهاجرين فى مرحلة ما بعد الاستعمار، وهم يشعرون بالامتنان لهذه الدول الأوربية ولكن الكثير من أبنائهم يعانون من الإبعاد الاجتماعى والاقتصادى، ويجدون أن (الإسلام النضالى) هو الذى يقدم لهم الهوية ويفسّر لهم الوضع المتدنى الذى يعيشون فيه، ويعطى لأصواتهم قوة للتعبير عن استيائهم من هذا الوضع.

ويقول المقال: بعض استطلاعات الرأى فى بريطانيا أظهرت أن أغلبية الشباب من المسلمين لديهم استعداد للقتال من أجل بريطانيا، ولكنهم مستعدون أيضا لحمل السلاح مع أسامه بن لادن! وفى تقديرات أجهزة الأمن البريطانية أن ثلاثة آلاف شاب مسلم بريطانى على الأقل هاجروا من بريطانيا إلى أفغانستان خلال التسعينات للتدريب، والتعليم الدينى. وهناك دول أخرى لم تعلن أعداد أمثال

هؤلاء الشباب، ويؤكد وجود فرنسيين وألمان بين المعتقلين فى جوانتانامو أن المجاهدين البريطانيين لم يكونوا وحدهم المسلمين الأوربيين الذين انجذبوا إلى طالبان والقاعدة.

ويقول المقال كذلك: إن العالم الإسلامى يوجد فيه الآن نوع من الإصلاح، ولكنه إصلاح ردىء، لأن التزمت والتشدد فى طريقهما للعودة إلى الظهور، وهناك شكل من الدين أكثر تشددا يرفض اندماج المسلمين فى المجتمعات غير المسلمة، ويؤكد على تفوق الإسلام، ويطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وهذا الإسلام المتشدد هو الذى يحل تدريجيا محل الإسلام المعتدل الذى كان سائدا لفترة طويلة. ولكن الأموال التى تدفقت من دول الخليج، والتفسير الراديكالى للقرآن، وإصرار الوعاظ المسلمين على أن المسلمين الذين يعيشون فى أوربا إنما يعيشون فى (دار الحرب)، ويسعون إلى تحويل المجتمعات المسلمة الأوربية إلى أحياء إسلامية، وقيامهم بإبراز الخلافات مع الاتجاهات الأوربية، بذلك كله خلق هؤلاء الوعاظ والأئمة الراديكاليون أرضا خصبة لتنشئة الإرهابيين وحمايتهم.

ويقول أيضاً: إن المسلمين فى أوربا كلها يعانون من زيادة نسبة البطالة، وسوء الحالة الصحية، وانخفاض مستوى التعليم، وهم محرومون من الحق فى أن يكون لهم من يمثلهم فى البرلمانات، والفرص قليلة فى الحصول على وظائف أمام الشباب من المسلمين، ومع انتشار أفكار ابن لادن فى المساجد، وعلى مواقع الإنترنت، تبدو الظروف الداعية للشباب لاعتناق الإسلام الراديكالى باقية على الدوام، وتجعل رفض الأوضاع الحالية للمسلمين على أساس دينى بدلاً من لجوئهم إلى التعبير عن شكاواهم على أساس علمانى وسياسى، وما دامت المسائل تتحول إلى مسائل دينية فإنها تصبح مما يستحيل الحوار أو التفاوض حولها. وفى أوربا تحديات أمام الأوربيين وقادتهم، فإن الكثيرين منهم يرفضون اختلاط العناصر فى المجتمعات الأوربية، ولذلك يجب على الدول الأوربية أن تقوم بأعمال إيجابية لتوفير التعليم والوظائف والمساكن للأقليات المسلمة، خاصة فى الولايات المتحدة، وسيساعد ذلك على التقليل من الشعور بالاغتراب لدى المسلمين فى دول الغرب، ويجب أن تعمل الدول الأوربية على السماح ببناء المساجد بتمويل من الدولة، وإدخال التعليم الإسلامى فى

المدارس. وبذلك تجارى الحكومات سخاء التيارات المتطرفة التى تؤثر فى المسلمين الأوربيين عن طريق بناء المساجد والمدارس، والأئمة الذين ينافسون الراديكاليين فى تشددهم!

ويقول المقال فى النهاية: إن أكثر الطرق فعالية لإقناع المسلمين الأوربيين بأنهم جزء من العالم الأوربى أن يعجل الاتحاد الأوربى بضم تركيا إلى الاتحاد بعد أن تعهدت حكومتها الإسلامية الجديدة بنشر تبنى القيم الأوربية المتعلقة بالتسامح والتعددية، وعلى أوربا أن تبدأ بخطوات عملية لمنع صراع الحضارات.

ولم يقل المقال شيئا عما يحدث فى الولايات المتحدة للمسلمين فيها الذين يحملون الجنسية الأمريكية، ولم يقل ماذا على الولايات المتحدة أن تفعل لمنع صراع الحضارات التى نشأت هذه النظرية ولقيت رواجا فيها.

وأظن بعد هذا ليست هناك حاجة إلى تعليق، وقد تكرر الاعتراف بما يعانى منه المسلمون من تحيز وعنصرية ومعاداة، دون أن تكون لهم قوانين تحميهم، فالقوانين فقط للعقاب على معاداة السامية، أما معاداة الإسلام والعرب فليس عليها عقاب ولا حساب، والهجوم على الإسلام مباح باعتباره ممارسة لحرية الرأى.. أما المساس ولو بكلمة عن اليهود فهو جريمة لا تغتفر تهتز لها الحكومات.. وتفتح أبواب السجون!

البعض فى أمريكا يريدون الحرب ضد الإسلام. . وليس ضد الإرهاب !

فى كل صباح تنشر مئات المقالات، وتصدر عشرات الكتب تعمق معاداة الإسلام وتزيد المخاوف من المسلمين فى الولايات المتحدة ودول أوروبا، ومع الأسف فإن الذين يجهلون ذلك فى العالم الإسلامى كثيرون، والذين يدفنون رءوسهم فى الرمال وينكرون أن فى الغرب معاداة للإسلام أكثر، والذين لا يريدون أن يقرءوا أو يعرفوا ما يقال عن الإسلام أكثر وأكثر تصوُّرا منهم أن الجهل نعمة. (!) ومع ذلك فإن سيل الكتب والمقالات متدفق بقوة وببراعة، على أيدى مفكرين وأكاديميين وكتّاب وصحفيِّين، ورجال دين، ورجال سياسة، وفنانين، ودعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان.. إلخ.

ولا أستطيع أن أكتم دهشتى حين يقول واحد من أهل الرأى فى العالم الإسلامى بثقة غريبة ومريبة بأن هذه الحملة لكشف ما يقال عن الإسلام فى الغرب نعطيها حجما أكبر من الحجم الحقيقى، وأن هذه الأقوال صادرة عن قلة فى الغرب، لا تأثير لها ولا أحد يأخذ أقوالها مأخذ الجد، ومن الأفضل ألا نشغل أنفسنا بواحد أو اثنين من الكتّاب الذين لا قيمة لهم. لا أستطيع أن أكتم دهشتى لأنى أرى كتّابا غربيين لهم وزنهم يعربون عن الانزعاج الشديد لهذه الموجات من الكراهية والعداء، ويعلنون أن انتشارها على النحو الذى صارت إليه ليس فى صالح الغرب. لا أستطيع أن أكتم دهشتى لأن الغربيِّين يزعجهم هذا الكم الهائل من العداء للإسلام، والمسلمون لا يشعرون بمثل هذا الانزعاج، ولا يحركون ساكنا للدفاع عن دينهم، وعن مصالحهم المهدَّدة، لأن هذا العداء سوف يأتى يوم قريبا كان أم بعيدا ويعبّر عن نفسه بالعدوان.. لا أستطيع أن أكتم دهشتى لأن المنكرين يرون الرئيس الأمريكى يطالب بتخفيف مشاعر الكراهية للإسلام والمسلمين، ويفعل ذلك بعض القادة الأوربيين. فلماذا يفعلون ذلك إذا لم تكن المسألة قد

تجاوزت حدود الرأى ودخلت فى طور جديد هو تعبئة الرأى العام فى الولايات المتحدة ودول أوربا لاعتبار أن العدو الوحيد للغرب فى هذه المرحلة هو الإسلام؟

لا أستطيع أن أكتم شعورى بالدهشة عندما اقرأ مقالا كتبه ويليام فاف فى صحيفة هيرالد تريبيون يوم ٥ ديسمبر ٢٠٠٢ بعنوان (توقفوا عن اعتبار الإسلام عدوا).. وقال فيه: إن مجموعة من أهل الفكر فى واشنطن يعملون على تحويل الحرب ضد الإرهاب التى تشنها الولايات المتحدة فى عهد إدارة الرئيس جورج دبليو بوش إلى حرب ضد الحضارة الإسلامية، وضد الدين الإسلامى - وفى هذه المجموعة من التيار المحافظ الجديد New conservative شخصيات مؤثرة فى الفكر والقرار فى أمريكا من أمثال اليوت كوهين الأستاذ بكلية جون هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة، وكينيث أديلمان kenneth adelman مستشار هيئة السياسات فى البنتاجون (وزارة الدفاع) والذى كان يعمل قبل ذلك إلى جانب الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان.

وهذه المجموعة ذات النفوذ والتأثير توجِّه انتقادات علنية إلى الرئيس بوش بسبب ما قاله مؤخرا من أن الحرب الأمريكية ليست ضد الإسلام، ولكنها ضد الإرهاب فقط. وهم يقولون: إن الإسلام نفسه هو العدو لأمريكا، لأن الدين الإسلامى والحضارة الإسلامية قائمان على التعصُّب، وعلى معاداة القيم الغربية، وعلى دعوة الناس إلى الدخول فى الإسلام وعلى التوسع وعلى القوة والعنف فى التعامل مع الآخرين. وهذه المجموعة تبنى موقفها على إقناع الأمريكيين بأن الإسلام كان معاديا للغرب قبل أن توجد إسرائيل،ولذلك فإن الصراع الإسرائيلى الفلسطينى ليست له علاقة بأزمة الإسلام مع الغرب.. ويقول ويليام فاف: إن هذا الموقف الفكرى جديد قد لا يقنع به كثيرون، ولكن يعزز هذا الاتجاه موقف قطاع من مجتمع البروتيستانت الإنجيليين فى الولايات المتحدة يرددون ويؤكدون أن الإسلام هو (الشر) ومن هؤلاء رجل الدين الذى أشرف على مراسم تنصيب الرئيس بوش عام ٢٠٠١، ويعلق ويليام فاف على ذلك بقوله: إن أمثال كوهين وأديلمان وأتباعهما الكثيرين فى المجتمع السياسى الأمريكى مازال عليهم أن يفسروا أسباب دعوتهم إلى الحرب ضد الإسلام والحضارة الإسلامية، أى ضد أكبر دين على الأرض بعد المسيحية يضم أكثر من مليار مسلم منتشرين فى القارات الست.

ويقول ويليام فاف: إن هؤلاء المفكرين وقعوا تحت تأثير نظرية صمويل هنتنجتون القائمة على المغالطة،وذات التأثير الضار على الغرب وعلى الإسلام معا، لأن هذه النظرية تعتبر أن الحضارات هى المسئولة عن المواقف السياسية، بينما هى فى حقيقتها ظواهر ثقافية، وهؤلاء المفكرون يصدرون أحكامهم على المسلمين ليس على أنهم بشر كسائر البشر فيهم الصالح والشرير، ولكنهم يحكمون على المسلمين بالإدانة لأنهم مسلمون، فالحكم على الهوية وليس على الأفعال هو الخطأ الذى وقعوا فيه ولم يلتفت إليه كثيرون، وهؤلاء ينتقلون من حتمية الحرب على الإسلام والمسلمين إلى حتمية وشرعية الحرب ضد العراق وشعب العراق، باعتبار أن الشعب لابد أن يتحمل مسئولية ما تفعله حكومته حتى إذا كانت حكومة استبدادية تمارس القمع وليس للشعب رأى فى سياساتها وقراراتها.

ويقول ويليام فاف تعليقا على ذلك: إن ما يقولونه عن العراقيين يمكن أن ينسحب على الإيرانيين والسعوديين، والمصريين، والإندونيسيين، والباكستانيين. وإذا كانت الشعوب مسئولة عما تفعله حكوماتها فلابد أن ينطبق ذلك على الأمريكيين أيضا.. وبناء على هذا المنطق فإن الشعب الأمريكى يحمل جانبا كبيرا من المسئولية عما تفعله حكومته، ولا يغيِّر من ذلك أن بعض الأفراد من المواطنين الأمريكيين يعارضون هذه الأفعال.. ومع ذلك فلا المسلمون ولا الأمريكيون يستحقون الموت بسبب انتمائهم إلى دين أو إلى حضارة، سواء لقى هذا الدين وهذه الحضارة قبولا أم رفضا، والتفكير بهذه الطريقة هو التفكير الاستبدادى الذى يتساوى مع النزعة العنصرية. فالعدو فى نظر هؤلاء يعتبر عدوا بسبب هويته وعقيدته وليس بسبب أفعاله، والقول بأن المسلم هو (العدو) سواء كان رجلا أم امرأة، أم طفلا، بسبب الهوية الثقافية أو الدينية وليس بسبب ما يفعله من عمل عدائى، هو الفكر العنصرى بعينه، وهو الفكر الذى كان القادة الألمان أيام الحكم النازى منذ ستة عقود يحرضون - بناء عليه - الشعب الألمانى على شن الحرب على اليهود لأنهم يهود، ولأن النظرية العنصرية الألمانية كانت تعتبر اليهود فى مرتبة أدنى من مرتبة الألمان عنصريا، وتعتبر اليهود أعداء

للألمان لأن هؤلاء يهود وأولئك ألمان دون نظر إلى سلوك وأفعال اليهود. فقد كان كافيا فى الفكر النازى أن يكون اليهودى يهوديا ليكون عدوا للألمانى ولألمانيا، وعلى هذا الفكر بررت النازية النزعة إلى إبادة اليهود، ومثل هذه النظرة – التى تنطوى على التعميم فى العداء – ما حدث فى الثورة الشيوعية خلال نفس الفترة –منذ ستة عقود – فقد كان الشيوعيون يتلقون الأوامر بقتل ملاك الأراضى والأغنياء وأفراد الطبقة الأرستقراطية (الكولاك) وأصحاب المحلات التجارية، وأصحاب المهن والرأسماليين، والمنشقين عن الحزب الشيوعى. وأضافوا إليهم اليهود أيضا، وكان المبرر لقتل كل هؤلاء أنهم أعداء النظام الشيوعى ليس بسبب مواقفهم العدائية، ولكن بسبب أنهم ملاك أراض ورأسماليون ومهنيون ويهود!! وذلك يجعلهم أعداء بالضرورة للنظام الذى يريد القضاء على الطبقية والمعارضة..

ويصل ويليام فاف من ذلك إلى أن معاداة المسلمين فى الغرب لأنهم مسلمون كمعاداة اليهود فى النازية، لأنهم يهود، ومعاداة المهنيين وغيرهم فى الثورة الشيوعية لأنهم كذلك. وهذا هو التفكير الاستبدادى الذى يمثل أكبر اتهام لأنه يضاف إلى مراحل الإبادة الجماعية التى حدثت فى القرن العشرين بنفس المبررات. ولكن أديلمان وكوهين ومن يتفقون معهم فى الدعوة إلى الحرب ضد الإسلام، يوجهون العداء إلى ثقافة ليست مسئولة مسئولية سياسية عن أعمال الحكومات بدلا من توجيه النقد السياسى وليس العقائدى، إلى القادة السياسيين وليس إلى الشعوب المؤمنة بدين معين، وإلى الحكومات والقادة والأفراد إذا صدرت منهم أعمال عدائية. أما التعميم والخلط بين العقائد الدينية والمؤمنين بها، والمواقف السياسية للحكومات، والجرائم التى يرتكبها أفراد، ووضعها جميعا فى سلة واحدة وإعلان الحرب عليهم جميعا، فإن ذلك أمر يتجاهل مبدأ مسئولية كل فرد عن تصرفاته دون أن تمتد المسئولية إلى غيره، ومسئولية كل حكومة عن أعمالها دون أن تمتد المسئولية إلى شعوبها، لأن هذا الخلط سيؤدى إلى كارثة تاريخية، والحروب إذا قامت لأسباب ثقافية ودينية فلن تكون لها نهاية، ولن تصل إلى حل للصراع، لأن الثقافات والأديان والعقائد لا يمكن التفاوض عليها، ولا يمكن التوصل إلى حل للاختلافات فيما بينها. وإذا سادت أفكار التيار المحافظ الجديد فى أمريكا فإن المسلم سوف يعتبر عدوا لأمريكا وأوربا لأنه

مسلم، وسيكون الغرب عنده هو العدو لأنه الغرب، مادام هذا التيار يعتبر الإسلام هو العدو لأنه إسلام ويدعو إلى حرب ضد المسلمين لأنهم مسلمون، وبذلك سوف تصل الأمور إلى النقطة التى يفقد فيها الجميع التحكم فى مستقبلهم.

ويستدرك ويليام فاف فيقول: إن ذلك كله غير صحيح لأن الصدامات الواقعة اليوم بين أمريكا وعناصر فى المجتمعات الإسلامية تعكس حقيقة أخرى غير صراع العقائد والحضارات والثقافات.. إنها تعكس الصراع على السلطة داخل المجتمعات الإسلامية.. وهذا الصراع قائم بين المتشددين والمعتدلين، وبين أعداء التقدم وأنصاره، وبين التقليديين والمتعصبين السياسيين والمجددين والمصلحين السياسيين.. ويضاف إلى ذلك أن هناك جماعات وحكومات إسلامية معروفة فى صراع مع حكومة الولايات المتحدة بسبب موقفها من إسرائيل ومستقبل الفلسطينيين وأيضا بسبب السيطرة على البترول، ويضاف سبب آخر هو سياسة فرض النفوذ الأمريكى، وفرض التواجد العسكرى الأمريكى فى أراضى الدول الإسلامية، وهذه الصدامات بين المسلمين والأمريكيين - فى حقيقتها - لأسباب سياسية، وهى صدامات خطيرة ولا يمكن التهوين منها، وهى فى حقيقتها أكثر عنفا مما تبدو الآن، ولكنها ليست حربا دينية. وإن محاولة تحويلها إلى حرب دينية عمل غير مسئول.

وقبل ذلك بأيام خرج (بات روبرتسون) وهو شخصية أمريكية معروفة يملك قناة تلفزيونية إنجيلية والمرشح السابق للرئاسة الأمريكية وقال فى التليفزيون: إن المسلمين فى الفترة الأخيرة مصممون على قتل اليهود. وإن أى أمل فى التفاوض على اتفاق سلام بإعطاء المسلمين الأراضى ليس إلا مجرد وهم، وأضاف: أتمنى أن يستيقظ اليهود فى أمريكا ويفتحوا عيونهم، ويقرءوا ما يقال عنهم.. فإن ادولف هتلر كان سيئا، لكن ما يريد المسلمون أن يفعلوه باليهود هو الأسوأ. بماذا نصف ما قاله بات روبرتسون علنا فى التلفزيون؟. هل نخطئ إذا قلنا إن هذه دعوة للكراهية؟. أليس فى هذه الأقوال خلط شديد وسموم قاتلة مثل اعتبار الصراع الفلسطينى الإسرائيلى صراعا بين (اليهود) و (المسلمين) أى صراعا دينيا بين أصحاب عقائد تتصادم،وليس صراعا بين (الإسرائيليين) و (الفلسطينيين)

أى صراعا سياسيا بين صاحب الأرض وبين من يريد اغتصابها؟..وأعتقد أن ما فى هذه الكلمات من تحريض صريح على كراهية الإسلام ومعاداة المسلمين لا يحتاج إلى شرح أو تعليق.. وبات روبرتسون مع القس جيرى فالويل ليسا إلا اثنين فى كتيبة لتعميق العداء والكراهية للإسلام. ولذلك قال فالويل علنا، إنه قرأ كتاب المسلمين (القرآن) فوجد أن محمدا (ﷺ) كان رجلا عنيفا رجل حرب وقال: أعتقد أن محمدا كان إرهابيا.. وكانت تعليقات فالويل سببا فى قيام عدد من الهندوس بالهجوم على بعض المسلمين وقتلوا منهم عشرة فى غرب الهند بعد أن أثارت هذه الكلمات مشاعر الهندوس ضد المسلمين. ومن يدرى ماذا ستكون عليه ردود الأفعال مستقبلا فى أنحاء العالم.

وصحيفة واشنطن بوست هى التى قالت فى أول ديسمبر ٢٠٠٢: إن كينث ألدمان عضو مجلس السياسة الدفاعية فى البنتاجون رفض ما قاله الرئيس بوش عن أن الحرب ليست على الإسلام، ولكنها حرب على الإرهاب.. وقال كينث ألدمان: إن محمدا ﷺ مقاتل وليس داعية سلام.. وقالت واشنطن بوست: إن الخوف يسيطر على المسلمين الأمريكيين من أن يكون الصقور المتشددين فى إدارة بوش قد كسبوا المعركة خاصة بعد أن أعلن إليوت كوهين عضو المجلس الاستشارى فى البنتاجون والخبير فى الدراسات السياسية الدولية أن الإسلام وليس الإرهاب هو العدو للولايات المتحدة، وبعد أن أعلن بول ويريش أحد النشطاء المؤثرين فى البيت الأبيض أن الإسلام فى حرب معنا.. وبعد أن أعلن أستاذ قانون أمريكى مشهور بأن إسرائيل لها الحق فى ارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين، وسخرت شخصيات معروفة فى مقابلات تلفزيونية من حرص المعتقلين المسلمين فى معتقل جوانتانامو الأمريكى على أداء صلاة التراويح وهم مقيدون فرادى بالسلاسل فى أقفاص حديدية، وبعد أن أعلن عن إحباط الأمن الأمريكى للخطة التى كانت مدبرة لتفجير مسجد الملك فهد أثناء تجمع المسلمين الأمريكيين لصلاة العيد.

ولم تتوقف موجة العداء عند حدود الولايات المتحدة بل امتدت منها حتى وصلت إلى روسيا. وفى تقرير لصحيفة الحياة اللندنية أن شهر رمضان فى روسيا

شهد أجواء من الشكوك والاتهامات التى أحاطت بالمسلمين بعد عملية احتجاز الرهائن فى أحد مسارح موسكو. وما تبعها من حملة إعلامية ضارية ضد الإسلام رافقتها إجراءات بوليسية لم يسبق لها مثيل ضد المسلمين، وكانت هذه الحادثة بمثابة الفتيل الذى أشعل مشاعر التطرف القوى والعداء للإسلام وأطلق حملة ضارية استهدفت المسلمين حتى أصبحت كلمة (إسلامى) مرادفة فى الإعلام للتطرف والإرهاب، فى حين شددت الرقابة على أماكن تجمعات أبناء الجالية الإسلامية فى موسكو وتضمنت الحملات عمليات مداهمة واعتقالات عشوائية بالمئات دون توجيه تُهم محددة إليهم، وشكا المسلمون فى موسكو من تعسف رجال الشرطة فى التعامل معهم فى الأسواق والأماكن العامة وعند المساجد حيث تتمركز دوريات للتدقيق فى أوراق الخارجين من الصلاة فى المساجد وتفتيش السيارات، ووصلت الحملة إلى المدارس، حيث تكررت حوادث تعرّض الأطفال المسلمون فيها للضرب من زملائهم الذين يتهمونهم بأنهم إرهابيون. وكل هذه الاعتداءات تعنى أن الحملة الإعلامية المعادية قد أثمرت ونجحت فى إحداث خلط فى الأذهان بين الدين الإسلامى والتطرف، ونقل تقرير الحياة قول متحدث فى قناة تلفزيونية: إن القرآن يستخدم كدليل ومرشد للتطرف،ودعا كاتب فى صحيفة ازفستيا إلى إغلاق المساجد، وإجبار المسلمين على تغيير دينهم أو طردهم..

وليس فى روسيا كلها سوى ساعة واحدة فى قناة تلفزيونية حكومية واحدة تبث برنامجا قصيرا للمسلمين كل يوم جمعة، وقد أصبح هذا البرنامج هدفا للهجوم حتى إن إحدى الصحف الروسية وصفته بأنه دعوى إلى التطرف، وهاجمت المذيعة التى تقدمه لأنها محجبة، كما هاجمت إذاعة الأذان،وذكر التقرير على لسان الشيخ محمود فيلتوف إمام مسجد منطقة (أترادنوبة) من أن تفرق كلمة المسلمين فى روسيا، والخلافات بين قادتهم وعدم توافر إمكانات مالية كافية لمواجهة الهجمة الإعلامية كل ذلك يوفر أرضية خصبة للمهاجمين للاسلام.. وهكذا تبدو الصورة فى روسيا.

والشىء الغريب أن المسلمين يعقدون كل يوم ندوة، وينشر كل يوم تصريح على لسان قادتهم السياسيين والدينيين، لإعلان أن الإسلام يرفض نظرية صراع

الحضارات، ويدعو إلى التعاون بين البشر جميعاً و لا يفرق بين الناس على أساس الجنس واللون أو الدين فكلهم لآدم، واختلافهم لحكمة أرادها الله لكى يكون التفاعل بين المختلفين محققا لمصالحهم جميعاً، واللوحة الفنية الجميلة لا يمكن أن تتكون من لون واحد، ولكنها تكتسب جمالها من تعدد الألوان، ومن الاختلاف بين الضوء والظل، وهكذا خلق الله الكون، الاختلاف فيه ثراء وتنوع والتكامل فيه ممكن بل ضرورى لتقدم البشر جميعاً. هذا ما يقوله قادة الرأى والسياسة والدين المسلمين، ولكن فى الغرب تكتسب نظرية صراع الحضارات، انصاراً يتزايدون يوماً بعد يوم، وينشرونها فى الرأى العام الأمريكى والأوروبى حتى أصبحت على كل لسان تقريبا وكأنها من المسلمات التى لا تحتاج إلى دليل أو مراجعة.

هذه النظرية أعلنها أستاذ العلوم السياسية صمويل هنتنجتون عام ١٩٩٣ وبلغت شهرته الآفاق بسببها. وقد خصصت مجلة لوبوان الفرنسية مقالا طويلا فى عدد ١٤ سبتمبر ٢٠٠١ للإشادة بعبقرية هنتنجتون ونظريته بعنوان (الرجل الذى تنبأ بصدام الحضارات) بقلم اليزابيث ليفى وقالت فيه: من الممكن أن تكون حرب الثقافات قد بدأت، وكل شىء يوضح بأن التسلسل المزعج للأحداث كما ذكرها بدأت تتحقق فالطائرات الانتحارية التى دمرت مركز التجارة العالمى قد تكون إعلانا لحرب الإسلام على الغرب، وهنتنجتون الذى عمل مستشاراً للرئيس الأسبق جيمى كارتر ويعمل الآن أستاذا للعلوم السياسية بجامعة هارفارد نبه إلى هذه الحرب بقوله: إذا كان القرن التاسع عشر قد شهد صراع القوميات المستقلة، وشهد القرن العشرون صدام الايديولوجيات، فإن القرن الحادى والعشرين سيشهد صدام الحضارات، لأن الحدود بين الثقافات والأديان والعرقيات ستكون من الآن فصاعدا مثاراً للانقسامات، ويرجع ذلك إلى أن الديانات تمثل قلب الحضارات السبع التى اقتسمت العالم، والديانات قوى أكثر خطورة، وغموضا، من الأيديولوجيات، وحيث إن انهيار الشيوعية قد أدى إلى اختفاء العدو المشترك للغرب والإسلام، فقد أصبح كل معسكر من معسكرى الغرب والإسلام هو التهديد الرئيسى للآخر).

وتقول اليزابيث ليفى إن الغرب عليه أن يواجه عدوه الطبيعى حالياً، وهو الإسلام. وسيكون عدوه بعد ذلك الحضارة الكنفوشية فى الصين، أما الذين يعتقدون أن الخطر على الغرب يأتى من الجماعات المتطرفة فقط فهم ضحية اعتقاد ساذج وسطحى، لأن الطابع القتالى والعنيف للمسلمين فى نهاية القرن العشرين حقيقة لا يمكن إنكارها، وخلال ألف وأربعمائة عام ثبت أن المشكلة الرئيسية بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، ولكن المشكلة أن الإسلام حضارة مختلفة وأصحابها مقتنعون بأن ثقافتهم هى الأرقى، وأن قوتهم هى الأضعف. فالمشكلة بالنسبة للإسلام لا تكمن فى أجهزة المخابرات أو وزارة الدفاع الأمريكية، ولكنها تكمن فى أن حضارة الغرب أيضاً حضارة مختلفة، وأصحابها مقتنعون بأن حضارتهم حضارة عالمية، ومؤمنون بتفوق هذه الحضارة على ما عداها، وبتفوقهم وقوتهم وقدرتهم، يؤمنون بأن ذلك يعطيهم الحق فى نشر هذه الحضارة فى جميع أنحاء العالم، وأمام مقاومة هذا الهدف فإن الحرب الشاملة لا مفر منها، وقد بدأت فعلا مع بداية تفكك الإمبراطورية السوفيتية وكانت البداية فى أفغانستان.

وتقول إليزابيث ليفى، إن المبرر للحرب أن أفغانستان هى المأوى المزعوم لأسامة بن لادن، وبين انعدام بصيرة الغرب، والجمود الإسلامى اجتمعت عناصر المأساة، والأمريكيون هم الذين أعطوا السلاح والأموال بسخاء لهؤلاء المجاهدين فى أفغانستان لكى يحاربوا السوفييت نيابة عنهم، وقاموا بذلك بتقوية وتسليح الذراع التى انقلبت عليهم بعد ذلك، وقد فعلوا ذلك أيضاً مع طالبان.

ويوضح هنتنجتون الموقف كما يراه فيقول: فى الوقت الذى يشهد فيه الغرب انتصارا للعالم الحر يشهد المسلمون انتصارا للإسلام. ومن هنا فإن الصراع الذى انتهى بهزيمة الجيش السوفيتى لم يتوقف، واستمر فى التصاعد. ومنذ عام ١٩٧٩ حدث ما يشبه الحرب بين الحضارات، إذ كان المسلمون يرون أن الغرب يشن حرباً ضد الإسلام، والغرب يرى أن جماعات إسلامية تشن حربا ضد الغرب عموماً، ومن البديهى إذن أن تندلع الحرب فعلاً.

وتقول إليزابيث ليفى: إن صمويل هنتنجتون شرح تفصيليا سيناريو نهاية العالم، وسبق أن تنبأ بها زميله فرانسيس فوكوياما الأستاذ بجامعة هارفارد الذى يؤمن بأن الرأسمالية ستصبح هى صورة المستقبل للبشرية، والذى أعلن أن مصدر الفخر للغرب أنه انتصر إلى الأبد، وانهارت الشيوعية إلى الأبد ، وأن المسلمين والصينيين والهنود وسائر الشعوب ستسارع بالانضمام إلى نظام الاقتصاد الغربى الحر بعد أن أصبح هو النظام الوحيد و لا بديل له. وبالإضافة إلى ذلك فإن ادعاء الغرب بأن دفاعه عن مصالحه ليس إلا لدواع أخلاقية ومعنوية ادعاء فيه استهانة بعقول الشعوب. فالغرب يحشد قواه للدفاع عن مصالحه ويدَّعى أنها مصالح المجتمع الدولى كله، غير أن ما يريدون فرضه كنوع من العالمية يراه الآخرون نوعا من الإمبريالية. والحقيقة أن التأكيد على المبادئ الإنسانية والعالمية يتماشى مع مداومة الحديث فى الغرب بلغة مزدوجة؛ فنحن ندافع عن الديمقراطية بشرط ألا تؤدى الديمقراطية إلى حكم الأصوليين الإسلاميين، وننادى بخطر الانتشار النووى بالنسبة للعراق وإيران ولكن لا نحظر ذلك على إسرائيل. ونقول بأن حقوق الإنسان تمثل مشكلة فى الصين، ولكن لا نقول ذلك عن دول أخرى صديقة لأمريكا تنتهك فيها حقوق الإنسان. وفى ظل هذه الظروف، فإن الفرصة الوحيدة للبقاء بالنسبة للغرب وعلى رأسه أمريكا، قد تكون الإقلاع عن فرض تصوراتهم فى كل مكان فى العالم، والتراجع عن فكرة (القرية الكونية الصغيرة) التى تقودها أمريكا.

وصمويل هنتنجتون يرى عدم مصداقية نظرية أمريكا التى تعطيها الحق فى التدخل فى الشئون الداخلية للدول والتى صاغتها فى نظرية (التدخل الإنسانى) ولذلك قال: إن الاعتقاد الغربى بأن هناك رسالة عالمية لثقافة الغرب ينطوى على ثلاثة عيوب، أولها أنها نظرية كاذبة، وثانيها أنها نظرية غير أخلاقية، وثالثها أنها نظرية تؤدى إلى نتائج خطيرة لأن أى تدخل من الغرب فى شئون الحضارات الأخرى سيكون من أكثر العوامل خطورة وسيؤدى إلى زيادة عدم الاستقرار. والحقيقة المؤكدة أن الصدام بين الإسلام والغرب حول الوجود والهوية، يستتبعه صراع جغرافى- اقتصادى قد يصل إلى زوال أحد الطرفين كما قال الباحث الأمريكى ألكسندر ديلى، أما هنتنجتون فإن القضية بالنسبة له

واضحة، وتتلخص فى أن هناك هجوما على الغرب من خصوم واثقين من أنفسهم وهم ضعفاء فى نفس الوقت ولا يرون من الغرب إلا النقائص والجرائم ويرون أن الغرب متجه إلى الأفول، ومن الصعب الانقياد للغرب مادامت أسطورة أمريكا التى لا تقهر قد انهارت تحت أنقاض برج التجارة العالمى، على الرغم من أن القوة الأمريكية لم تكن أبداً بمثل هذا الجبروت الذى صارت إليه بدون منازع خلال السنوات الأخيرة، ومع ذلك فإن اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر يمكن أن تكون شهادة ميلاد لكيان إرهابى جبار يناسب حجم (القوة الكبرى)، ولا أحد يستطيع التنبؤ بعواقب هذا الصراع وإن كان التاريخ يشهد بأن تحطم الأسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربر كان نقطة انطلاق ورد الفعل الذى أسفر عن الانتصار العسكرى والسياسى للولايات المتحدة. إلا أنه يبقى سؤال تطرحه الباحثة اليزابيث ليفى هو: هل إذا تأكدت الشبهات حول مسئولية ابن لادن، ستبقى نظرية اعتبار الإسلام العدو الأبدى للغرب؟، وتجيب على هذا التساؤل بقولها: إن فكرة انقسام العالم إلى حضارات كبرى انتهت ولم يعد لها ما يبررها، وإذا بدأت الحرب فى وول ستريت،حى المال والبورصة ورجال الأعمال فى نيويورك، فمن الممكن ألا تكون هذه الحرب بين الإسلام والغرب، وتكون حربا فى هذا (العالم الواحد) الذى يعيش تحت وطأة السوق الواحدة، وما يؤدى إليه نظام السوق الحرة من ازدياد أعداد الفقراء والمنبوذين وازدياد العنف بينهم كلما شعروا بالدونية.

ومن ناحية أخرى، فقد تحدث هنتنجتون نفسه عن (ثقافة دافوس) حيث يتجمع كبار رجال المال والأعمال والسياسة لتكريس نظام الاقتصاد الحر وفتح الأسواق أمام الدول الصناعية الكبرى، واعترف بأنه حتى فى داخل البلاد الغنية، فإن ثقافة دافوس لا تحرك سوى النخبة ولا تحرك الشعوب. وقد كتب هنتنجتون يقول: إن الحكومات والجماعات والمؤسسات الغربية مثل البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى قد حاولت ملء الفراغ الايديولوجى بقواعد الاقتصاد الارثوذكسى الجديد والديمقراطية السياسية، وفى الصراعات الحضارية، على عكس الصراعات الأيديولوجية، فإننا ننحاز إلى إخواننا. وتقول اليزابيث ليفى: إن هنتنجتون بقوله هذا يتناسى الانقسامات التى مرت بالمجتمع الإسلامى أثناء

حرب الخليج، ويرى على العكس أن حرب الخليج كانت لحظة حاسمة للتحرك الإسلامى. وإذا كان صدام حسين بالنسبة للكثيرين طاغية فقد اعتبروه واحدا منهم، والمشكلة تكمن فى أن أمريكا تحت ستار أنها تؤدى رسالة، وتنشر القيم، فإن سلاسل المحلات والمنتجات الأمريكية تنتشر وتحقق مبيعات هائلة لكل شعوب العالم، دون أدنى مراعاة لحقوق الدول والشعوب، وأخيراً فإن الطائرات الانتحارية من المحتمل أن تهدد مواقع خارج أمريكا، ويكون هدفها السادة الجدد لهذا العالم الذى لم تعد فيه حدود، والذى يخضع للرأسمالية الطاغية التى لم تعد احتكاراً قاصراً على الغرب وحده.

وكما قال أستاذ العلوم السياسية الأمريكى بنيامين باربر فإن العالم موزع الآن بين قوتين متناقضتين ومتكاملتين فى نفس الوقت، وكل منهما غير مستعدة للتعايش هما الشركات العملاقة التى تتحكم فى الأسواق والأذواق فى العالم من ناحية، وقوى التطرف والجهاد من ناحية أخرى، مع أن بشائر العصر الجديد تشير إلى أنهما سوف يعملان معاً فى نفس المكان، وفى نفس الزمان، وبعيداً عن الصراع، وازدراء القوة الأمريكية يمكن أن تتوافق مع التطلع إلى اتباع نظام الحياة الأمريكى، وقد عبر بنيامين باربر عن فكرته هذه لتبسيطها فقال: إن ستة أشخاص من الشباب بوسعهم ارتداء الجينز والاعتياد على شرب الكوكاكولا، وأكل الهامبورجر، وسماع موسيقى الراب، ومع ذلك يقومون بتفجير طائرة ركاب أمريكية، وفى نهاية المقال تقول اليزابيث ليفى: بدلا من الصدام بين الإسلام والغرب، ألم يكن الاقتران الدامى بين (الجهاد) و (التكنولوجيا الحديثة) هو الذى تم فى سماء نيويورك يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ؟..

هكذا نرى كيف يؤسس مفكرون فى الغرب نظرية تبرر الحرب ضد الإسلام، ونرى فى نفس الوقت من يحاول تفنيد هذه النظرية، وإن كانت أصوات الداعين للعداء والحرب هى الأقوى والأقرب إلى صناع القرار.

أما الداهية الإسرائيلى شمعون بيريس فقد طرح نظرية فى منتهى الخبث خلط فيها أولاً بين الإسلام والإرهاب دون أن يذكر اسم الإسلام، وطرح فيها الحل

الوحيد أمام الغرب لحماية نفسه من هذا الإرهاب بعزل الإرهاب أى عزل الإسلام. وطرح هذه الرؤية الكاتب الأمريكى توماس فريدمان وهو أشد خبثا من بيريس، فى مقال بعنوان: (شدوا أزر الاخيار فى الحرب الأهلية الإسلامية) فى عدد ١٥ سبتمبر ٢٠٠١ فى صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية قال فيه: إذا كان الهجوم الإرهابى الذى تعرضت له الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر ونفذته خلية إرهابية واسعة الانتشار يعادل اندلاع حرب عالمية ثالثة، فقد حان الوقت للتفكير فى آثارها الجيوبوليتيكية المحتملة على المدى البعيد، وكما أفرزت الحربان العالميتان الأولى والثانية نظما وتقسيمات جديدة، فإنه من المحتمل أن يحدث نفس الشىء فى هذه الحرب، فما هو الشكل المحتمل لهذا التقسيم؟.

ويطرح توماس فريدمان تصور شمعون بيريس الذى تولى عدة مرات منصب وزير الخارجية ومنصب رئيس الوزراء فى إسرائيل، ويقول بيريس: لقد اكتشفوا منذ عقود أن التدخين يسبب السرطان، وسرعان ما بدأ الناس يطالبون بتخصيص أماكن خاصة للمدخنين، وأماكن أخرى لغير المدخنين، والإرهاب هو سرطان هذا العصر، وطوال عقد من الزمان كانت معظم الدول تنكر هذه الحقيقة أو تميل إلى تلمس أسباب لتبرير استمرارها فى التعامل مع الإرهابيين. ولكن بعدما حدث فى نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فإن كل شخص أصبح يدرك أن الإرهاب هو السرطان وأنه خطر علينا جميعاً. ولذلك يجب على كل دولة أن تقرر الآن ما إذا كانت تفضل أن تكون دولة مدخنة أو أن تصبح دولة غير مدخنة، أى هل ستكون دولة تدعم الإرهاب أو دولة لا تدعمه؟ وبيريس يقصد بذلك أن هناك نوعا من التقسيم للدول فى طريقه للظهور، وأن الولايات المتحدة ستضع عددا من الدول فى قسم المدخنين المؤيدين للسرطان، أى المؤيدين للإرهاب، وتضع الدول الأخرى فى القسم الثانى الذى يرفض ويقاوم الإرهاب معها.

ويقول توماس فريدمان: إن ذلك كما لاحظ شمعون بيريس لا يمثل صراعا بين الحضارات، أو بين العالم الإسلامى من جانب ضد المجتمعات المسيحية والهندوسية والبوذية واليهودية على الجانب الآخر، لأن الصراع الحقيقى ليس بين الحضارات ولكن داخل الحضارات، بين المسلمين، والمسيحيين، والهندوس، والبوذيين، واليهود، ذوى الرؤية العصرية والتقدمية، ضد الآخرين من ذوى

الرؤى المتخلفة التى تنتمى إلى القرون الوسطى، وسيكون خطأ كبيراً إذا استبعدنا العالم الإسلامى من هذا التحالف فإن ذلك يجعلنا لا ندرك كيف أن معظم المسلمين يشعرون بأنفسهم أنهم يعيشون فى دول ضعيفة، ويتطلعون إلى الولايات المتحدة بوصفها نموذجا مثاليا، ومصدر إلهام لهم.

وكان (ستيفن كوهين) الخبير فى شئون الشرق الأوسط قد لاحظ أن الرئيس الأمريكى الأسبق لينكولن قد ذكر فى حديثه عن أهل الجنوب الأمريكى فى أعقاب الحرب الأهلية أنه يتعين ألا ننسى أنهم يصلون لنفس الإله الذى نصلى له، ولذلك ذكر ستيفن كوهين أن الأمر ذاته ينطبق على العديد والعديد من المسلمين، ولذلك يجب علينا أن نحارب هؤلاء المسلمين الذين يؤدون الصلاة لإله الكراهية وحده، غير أننا لا نود أن نخوض حربا مع الإسلام ومع الملايين من المسلمين الذين يتوجهون بالصلاة لنفس الإله الذى نصلى له، فالإرهابيون الذين اعتدوا على الولايات المتحدة فى سبتمبر ٢٠٠١ هم قوم يصلون لإله الكراهية ، ولم يستهدفوا من وراء إرهابهم تغيير مسار سياسة معينة للولايات المتحدة، لأنهم لم يتقدموا بأية مطالب، فإرهابهم مدفوع بالحقد وحده، وبمعتقدات عدمية تؤمن بأن المجتمع فاسد وينبغى تدميره. وكانت أهداف ذلك الإرهاب تبدأ من المؤسسات التى تشكل عصب النموذج الأمريكى من أسواق المال، إلى القوات العسكرية لذلك فإنه يجب استئصال جذور هؤلاء الإرهابيين والقضاء عليهم. ولكن يجب أن يتم ذلك بالطريقة التى لا تجعل أمريكا هى العون الرئيسى لأسامة ابن لادن على تحقيق أهدافه، لأن هؤلاء الإرهابيين لا يريدون قتل الأمريكيين فقط، ولكنهم يفكرون بشكل استراتيجى،ويرغبون فى إشعال نار هذا الانتقام الأمريكى الذى لا يفرق بين الإرهابيين، والمسلمين الآخرين، وسيكون ذلك انتصارهم النهائى، لأنهم ينظرون إلى العالم على أنه صراع بين الحضارات، ويعملون على أن تكون هذه هى نظرة كل مسلم لينضم إلى جهادهم.

ثم يعود توماس فريدمان إلى نظرية شمعون بيريس عن السرطان الإسلامى فيقول: إن الأمريكان لم يتمكنوا من التغلب على شركات السجائر الكبرى إلا عندما قام أشخاص من داخل هذه الصناعة بكشف كثير من أسرارها للرأى العام، وأبدوا معارضتهم لها ولرؤسائهم الذين يروجون لمرضى السرطان، وبالمثل

فإن الفرصة الوحيدة للتغلب على هؤلاء الإرهابيين المتطرفين لن تكون فى الهجوم عليهم فقط، مع أن ذلك أمر ضرورى، غير أنه ليس كافياً، لأنه سرعان ما سيخلفهم جيل آخر، ولذلك فإن مجتمعاتهم، والمتدينين من دينهم، هم الذين يمكنهم أن يقيدوا حركتهم وينزعوا عنهم الشرعية، ولن يحدث ذلك إلا عندما تعترف أغلبية المسلمين بأن أسامة بن لادن وأتباعه يقودونهم إلى الدمار، وإلى تشويه صورة دينهم ومجتمعاتهم ، وهذه الحرب الأهلية داخل الإسلام بين العصريين والمتخلفين سوف تستمر لسنوات وخاصة فى الجزائر ، والأردن ، وباكستان، ومصر، والسعودية، الأمر الذى يتطلب استراتيجية اقتصادية وسياسية ، واجتماعية، مماثلة للاستراتيجية العسكرية الأمريكية فى ضخامتها وقوتها وتطورها. وإن عدم الرد بشدة على الهجوم الإرهابى الذى تعرضت له الولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر سوف يؤدى إلى تنفيذ هجوم أسوأ على أمريكا فى المستقبل، وسيؤدى إلى اندلاع حرب بلا نهاية مع الإرهابيين، ولكن الرد دون تفرقة بين الذين يصلون لإله الكراهية والذين يصلون إلى نفس الإله الذى نصلى له، سوف تسفر عن حرب بين الحضارات لن يكون لها آخر،حرب قد تجعل الجميع فى قسم المدخنين (المدعمين للإرهاب) !.

إذا كان كل ذلك وأكثر منه يقال عن الإسلام والمسلمين، وإذا كان وزير الأوقاف العالم الفاضل الدكتور محمود حمدى زقزوق قد ذكر بنفسه فى حديث صحفى إن العداء للإسلام يتخذ صفة علمية وإنسانية وتقدمية وحضارية، وأن المسلمين لذلك يجب أن يسلحوا أنفسهم بنفس الأسلحة، وأضاف إلى ذلك حقيقة مفزعة، إذ قال: إن المستشرقين الفوا ٦٠ ألف كتاب للهجوم على الإسلام بينما المسلمون نائمون.. وقد أرضى الدكتور زقزوق ضميره العلمى حين أعلن هذه الحقائق، ويبقى أن يستكمل ما بدأه لتصحيح المفاهيم الغربية المضللة عن الإسلام.

وهل يكفى ما أعلنته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى وثيقة وزعتها فى ١٦ ديسمبر ٢٠٠٢ أن دعت فيها المسلمين إلى وقفة حازمة لرفض المحاولات التى يبذلها أعداء الإسلام للإساءة إلى الدين الإسلامى. وذكر الدكتور عبد العزيز التويجرى مدير المنظمة أن الأمة الإسلامية مطالبة بممارسة النقد الذاتى البناء، والمصارحة الداخلية الإيجابية لإيجاد السبل لإخراجها من

الأزمة الثقافية والحضارية التى تعيشها، وضرورة القيام بتغيير جذرى لآليات العمل وأساليب التعامل مع الغرب لمخاطبته بلغته وبمنطقه والتمكن من التأثير فى المجتمع الغربى.

هل فى هذا البيان الكفاية ؟.. وماذا بعده ؟؟.

وقد أطلق المسلمون البريطانيون موقعاً على شبكة الإنترنت لمواجهة موجات العداء المتزايدة ضد المسلمين فى الغرب. يشرح حقيقة الإسلام بعد الحملة الشعواء من التشويه التى تعرض لها عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعد توجيه الاتهام فى هذه الأحداث إلى المسلمين وخاصة من العرب وما تلاها من تشويه متعمد للإسلام فى العالم.

هل فى ذلك الكفاية أمام القوة الطاغية الشاملة المعادية للإسلام والمسلمين؟..

هل يكفى بيان أو موقع على الإنترنت وأمامنا مقال خطير للدكتور بهجت قرنى فى ملف الأهرام الاستراتيجى الصادر فى يناير ٢٠٠٢ بعنوان (الصورة النمطية للعربى والمسلم فى الغرب)، يقول فيه: إن روبرت جرفيس الأستاذ الشهير للعلاقات الدولية فى جامعة كولومبيا فى نيويورك يعتبر من خبراء العلاقات الدولية الذين تماثل شهرتهم شهرة كيسنجر وهنتنجتون ، وقد أسس شهرته على موضوع (التصورات) وتأثيرها السياسى، وقال: إن سلوكنا لا يقوم على الحقائق، ولكن يقوم على تصوراتنا لهذه الحقائق وكيفية إدراكنا لها، فإذا كان أحدنا مصابا بعمى الألوان مثلا ورأى قميصا أصفر بينما هو فى الحقيقة أزرق، فإنه سوف يصدق بأنه أصفر، ويتصرف على هذا الأساس عند اختياره، ومن هنا تنبع أهمية موضوع صورة العربى والمسلم فى الخيال الشعبى الأمريكى، ويلخصها الدكتور بهجت قرنى فى خمسة تصورات وفقا للأبحاث المتعددة التى أجريت فى أمريكا:

العربى المسلم: بدوى، غير متحضِّر، خسيس، تقوم حياته على الخطف والغزو القبلى.

الراقصة الشرقية: المبتذلة، الرخيصة، التى تهدف فقط إلى اثارة الغرائز.

رجل البازار، التاجر، الشره، الذى يساوم طوال الوقت وهدفه استنزاف أكبر قدر من نقودك.

البليونير: محدث نعمة، مقامر، مستهتر، يحاول شراء كل شىء حتى النساء وكرامة الآخرين.

الإرهابى: قاذف القنابل ، الوحشية كامنة فى ثقافته، وسلوكه البربرى قائم على ذبح الأطفال والنساء لتحقيق أهدافه، عديم الإنسانية فى تنشئته وليد لظروف البيئة المحيطة به. هذه هى صورة المسلم! !

ويشير الدكتور بهجت قرنى إلى لقاء له مع بعض الليبراليين الأمريكيين عبروا فيه عن تخوفهم من تأثير هذه التصورات السلبية وتقديمها على أنها جزء لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية، وقد يفلت الزمام لمن يروجون للحديث عن (التلوث الثقافى) الذى يهدد المجتمع الغربى نتيجة لوجود بعض العرب والمسلمين الأمريكيين، وقد تستغل بعض الجماعات المتطرفة هذا الظرف المواتى للمطالبة بنوع من (التطهير الثقافى) كما حدث فى البلقان.

إذا كان الأمر كذلك..

لمن نتوجه بالسؤال.. أو بالرجاء .. أو بالأمل؟.

الحرب على الإسلام اشتعلت !

روجت دوائر العداء للإسلام فى أمريكا رسم الكاريكاتير للرسام الأمريكى المعروف دوج مارت ونشر أولاً فى صحيفة (كلاهاس ديمقراط) ثم نشرته صحف أخرى بعد ذلك، وفى هذا الرسم صور الرسول (ﷺ) وهو يقود سيارة محملة بالمتفجرات، وكتب تحتها (ماذا سوف يقود محمد؟) وهذا الرسم وحده أشد خطراً من مائة مقال فى الهجوم على الإسلام، لأنه يرسخ الفكرة العنصرية المعادية للإسلام والمسلمين، ويؤكد الصورة النمطية السلبية عن الإسلام والرسول (ﷺ). وقد نبه إلى ذلك رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية وقال: إن الإعلام الأمريكى يعيش الآن موسما مفتوحا للهجوم على المسلمين ومقدساتهم وشعائرهم، ولم تتحرك جهة للاحتجاج على وصف الرسول (ﷺ) بالإرهاب وبأنه القدوة للمسلمين فى القتل والتفجير.. ولم يتقدم الأزهر بمذكرة احتجاج.. ولا تحرك السفير فى أمريكا.. وكأن الأمر لا يستحق الانزعاج!

ولابد أن يكون أحد فى الأزهر قد قرأ تقرير الأستاذ محمد وهبى من واشنطن فى (المصور) عما حدث فى مدينة سانت لويس أثناء المؤتمر السنوى للكنيسة المعمودية، وقد بلغت هذه الكنيسة من الأهمية ما جعل الرئيس جورج بوش يوجه خطابا من خلال القمر الصناعى إلى هذا المؤتمر، وقال القس جيرى فاينز الرئيس السابق للمؤتمر ومن أشهر الزعامات الدينية فى أمريكا: إن النبى (ﷺ) كان شاذا!! وكان تعليق زملائه فى نفس الكنيسة عن هذه السفالة: إن هذا ما وصل إليه استنادا إلى بحوث قام بها عن الإسلام.

وجاء فى هذا التقرير: إن الهجوم الوقح على الإسلام ورسوله (ﷺ) أصبح عادة بين القيادات الدينية، والغالبية العظمى منهم إنجيليون يؤيدون إسرائيل بحماسة شاذة، بالإضافة إلى التهجم المستمر من زعامات دينية على رأسهم بات

روبرتسون الذى كان مرشحا للرئاسة فى أمريكا من قبل، وجيرى فالويل، وفرانكلين جراهام، وجيمى سواجارت صاحب الفضائح الجنسية والمالية التى اهتزت لها أمريكا قبل بضع سنوات. ومن الأمثلة ما طالب به جيمى سواجارت يوم ١٠ نوفمبر ٢٠٠٢ بطرد كل الطلبة المسلمين الأجانب من الجامعات الأمريكية. وقال: إن العرب يلفون حفاضات الأطفال على رءوسهم، وحزام مراوح السيارات على خصورهم، ويجب علينا أن نقول لكل مسلم من المسلمين الذين يعيشون بيننا: إنك إذا نطقت بكلمة واحدة فستختفى فوراً وأضاف: إن رسولهم مارق وشاذ!

أما بات روبرتسون المرشح السابق للرئاسة الأمريكية والذى يعتبر من أهم الزعماء الإنجيليين فقد بلغت به البذاءة إلى حد وصف المسلمين بأنهم أسوأ من النازيين وأن النبى (ﷺ) متطرف، ولص، وقاطع طريق، والإسلام (خدعة كبرى) والقرآن الكريم (مجرد سرقة من الأفكار الدينية اليهودية)، وقد أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش مبادرة أسماها (المبادرة الإيمانية) وحصلت المنظمة التى أنشأها بات روبرتسون هذا على نصف مليون دولار من الأموال المخصصة لهذه المبادرة!

وجيرى فالويل وصف الرسول (ﷺ) بأنه إرهابى، ووصف الزعيم الإنجيلى فرانكلين جراهام الإسلام بأنه (دين شرير وكريه). ونقل محمد وهبى عن جون مونتفيل الذى يرأس برنامج الدبلوماسية الوقائية بمركز الدراسات الدولية والاستراتيجية فى واشنطن قوله: بأن ما يحدث من هجوم على الإسلام فى أمريكا يمكن أن يدفع نحو تصادم حضارى بين العالم الإسلامى والغرب، وأضاف: لقد تلبدت الأجواء بصورة خطيرة على عدة مستويات أهمها التشويه الخطير لصورة الإسلام والمسلمين فى الغرب.. وعلل جون مونتفيل هذا الهجوم الضارى بأنه من تداعيات هجوم سبتمبر ٢٠٠١ على أمريكا، والدور السلبى لوسائل الإعلام الأمريكية فى هجومها على الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى أن بعض القيادات المؤثرة فى الكنيسة الإنجيلية ليست على مستوى ثقافى يجعلها تتحدث عن الإسلام بموضوعية لأنها لا تعلم الكثير عن الإسلام، كما أن هناك تحالفا بين هذه الكنيسة وبين إسرائيل والقوى التى تؤيدها فى أمريكا، وهذه

الكنيسة تؤمن حرفيا بأن عودة السيد المسيح مرتبطة بهجرة كل يـهود العـالم إلى إسرائيل، وما يتبع ذلك من انهيار إسرائيل، ويعقب ذلك ظـهور السـيد المسيح، وإسرائيل من جانبها تستفيد من النفوذ السياسى المتزايد لهذه الكنيسة وجهودها الناجحة لدفع يهود أمريكا للهجرة إليها..

وفى مجلة نيوزويك الأمريكية كتب فريد زكريـا رئيـس الطبعـة العربيـة فـى عدد ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٢ عن حديث القس جيرى فالويل فى برنامج (٦٠ دقيقة) فى التليفزيون الذى قال فيه: إن النبى محمدا (ﷺ) كـان إرهابيـاً، وذكـر أن أقـوال فالويل هذه تبدو كأنها جزء من اتجـاه وهنـــاك غيره كثـيرون، ففـى مناسـبات عدة وصف بات روبرتسون النبى محمدا (ﷺ) بأنه لص، وقاطع طريق، ووصـف الإسلام بأنه عملية اغتيال كبيرة، وكذلك فإن فرانكلين ابن القس بيلى جراهـام، انضم إلى هذه الجوقة، ووصف الإسـلام مـراراً بأنـه ديـن شـرير جـدا، وتكـررت إهانة الإسلام فى افتتاحيات ومقالات الصحف الأمريكية التى ووجهت بـالصمت من البيت الأبيض، ومن غالبية القادة السياسيين والدينيـين مـن التيـار الرئيسى فى أمريكا. والذين يهاجمون الإسلام فى أمريكا ليسوا شخصيات مغمورة، بل هم من أشهر القادة الدينيين فى الولايـات المتحـدة، ولهـم اتبـاع بعشـرات الملايـين، ولهم – أيضاً – نفوذ سياسى هائل، فقد دعـا الرئيـس جـورج بـوش القـس بيلـى جراهام لتلاوة الصلاة فى حفل تنصيبه رئيسا. ولذلك فإن برامج التبادل الثقافى، وبرنامج الدعاية الأمريكية الموجه إلى المسلمين لإقناعهم بأن أمريكا صديـق لهـم، لن يكون له تأثير فى مقابل هذا الصخـب المتعصـب مـن القـادة الدينيـين، وعلـى مدى العقـد المقبـل سـتكون القضيـة الأولى فـى السياسـة الأمريكيـة هـى علاقتـها مع ١٢٠٠ مليون مسلم فـى أنحـاء العـالم، وإقامـة علاقـة صحيحـة مـع المسـلمين سيكون لها تأثير أعظم على حماية مصالح أمريكا، بما فـى ذلـك حيـاة المواطنـين الأمريكيين، وإن حملة فالويـل، وروبرتسـون، وجـراهام التـى تفيض بالحقد والكراهية إنما تقوم بإشعال النار التى يمكن أن تكبر لتصبح حريقا هائلاً فظيعاً.

ويقول مقال نيوزويك الأمريكية إن أحـداث ١١ سبتمبر حلـت مشـكلة ملحـة بالنسبة للأصوليين، فخلال العقود الماضية كان هؤلاء يبحثـون عـن أعـداء لهـم،

وقد وجدوا أن الهجوم على المسلمين هدف أسهل بكثير من الهجوم على الشذوذ الجنسي وحق الإجهاض وغير ذلك من سلبيات المجتمع الأمريكي.

هذا ما قاله رئيس تحرير الطبعة العربية لمجلة نيوزويك الأمريكية.!

وفي الصحافة الأمريكية كل يوم عشرات المقالات تهاجم الإسلام، وتصفه بالنازية، والتخلف، كما قال كيفين بيكر Kevin Baker في مقال بعنوان (الجانب الأعلى للإسلام الراديكالي) في صحيفة نيويورك تايمز يوم ١٥ ديسمبر ٢٠٠٢، من أن الإسلام قوة دمار، لكنه قوة دمار يمكن أن تفتح الطريق أمام نظام ديمقراطي جديد في الشرق الأوسط، وتلك هي النظرية الرائعة التي قدمها فرانسيس فوكوياما، ونادا ف سامين Nadav Samin وملخصها: أن العالم الإسلامي اليوم في وضع يماثل وضع أوربا في بداية العصر الصناعي، عقب الهجرات الكبرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الريف إلى المدن، حيث كان ملايين الفلاحين الأوربيين البؤساء ذوي الأفكار المشوشة ينضمون إلى الحركات الراديكالية مثل الفاشية والشيوعية، وبالرغم من الدمار الذي تسببت فيه هذه الحركات الراديكالية فإنها عجلت بإزالة العوائق التي كانت تمنع ظهور الديمقراطية الليبرالية، وهكذا الحال في العالم الإسلامي، فإن الريفيين يهاجرون من القرى المتخلفة إلى الأحياء الحضرية الواسعة في القاهرة، والجزائر، وعمان، تاركين وراءهم (إسلام الريف) المرتبط بالأمية وعدم التعلم، ولكن هذه الهجرات أدت إلى اضطرابات في نفوس الرجال والنساء الذين يعانون من الحرمان وسط مجتمعات مرفهة، فيتحولون إلى أشخاص يعانون من الاغتراب والغضب، ولا يجدون أمامهم إلا اللجوء إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة، التي تتحدى السلطة التقليدية القائمة، كما فعل أسامة بن لادن بفتواه ضد الولايات المتحدة، فقد كان يعلن في نفس الوقت التحدي للسلطة الشرعية في العالم الإسلامي، وهو بذلك يشبه هتلر عندما كان يصدر منشورا، ولينين عندما كان يصدر مرسوما، وكما أدت النازية والشيوعية إلى كارثة الحروب العالمية، فإن هذه الكوارث أفادت أوربا، وكانت (كارثة) الحرب العالمية الأولى هي التي ساعدت أوربا على التخلص من النظام القديم والدخول في عصر الحداثة، كذلك فإن تطرف الجماعات الإسلامية ربما يؤدي إلى (كارثة) لا سبيل إلى

مواجهتها واحتوائها إلا بالقوة العسكرية، وسوف تؤدى المواجهة بالقوة العسكرية إلى تغيير العالم الإسلامى.

هكذا يروجون للقيام بشن حرب على العالم الإسلامى من أجل تغييره ليكون متوافقا مع الأهداف والمصالح الأمريكية. فالإسلام هو العدو، ومحاربة التطرف والإرهاب الإسلامى هى القضية التى تبرر تغيير العالم الإسلامى بالقوة وفق إرادة أمريكا.

وإذا أردنا أن نفهم لماذا كل هذا العداء للإسلام فى أمريكا وأوربا، فسوف نجد لهذه الظاهرة أسبابا متعددة دينية، وسياسية، واقتصادية يطول شرحها، ولكنَّ هناك سببا جديدا شرحه باحث أمريكى متخصص هو (سين يوم) Sean Yom فى دراسة بعنوان (الإسلام والعولمة) فى مجلة السياسات والمجتمع الدولية الأمريكية عدد أبريل ٢٠٠٢ وعرضه مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى مجلة (قراءات استراتيجية) عدد ديسمبر ٢٠٠٢، وملخص الدراسة.. أن الإسلام عاجز عن الدخول فى نظام العولمة الذى تقوده أمريكا، لأنه بطبيعته يعارض العولمة والقيم العلمانية، ولذلك فإن حركة الإحياء الإسلامى الحديثة، والأصولية الإسلامية هما عائق كبير للعولمة.. ويقول الباحث الأمريكى: لقد ترتب على انتهاء الحرب الباردة وجود فجوة أيديولوجية، وحاول كثير من الباحثين وضع نظريات جديدة للعلاقات الدولية تعبر عن الصراع العالمى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وهؤلاء الباحثون هم الذين وصفهم البعض بأنهم منظرو الفوضى العالمية، لأنهم قالوا: إن العولمة هى عملية تجزئة وتآكل سيادة الدول، وإعادة تشكيل الولاء الاجتماعى والدينى من جديد، وتنبئوا بانقسام العالم دينيا وحضاريا، مما يعنى الدخول فى عصر من العنف العرقى والثقافى، وبناء على هذا التفكير رأوا أن إحياء الأديان، وإحياء الدين الإسلامى بصفة خاصة، سيؤدى إلى التمرد ضد التحديث، والعولمة، والعلمانية، بينما العولمة هى عملية صهر للأسواق، وذوبان للدول القومية بدرجة لم يشهدها العالم من قبل، وسيؤدى ذلك إلى ارتباط الدول والمؤسسات بعضها ببعض بأقوى وأسرع من ذى قبل، وسوف يسيطر على العالم شعور بالقلق نتيجة للسرعة التى تتم بها العولمة الاقتصادية، وفتح الحدود للتجارة وللهجرة البشرية، وللسياحة

وللاتصال الثقافى العابر للقوميات، وعلى الجانب الآخر فإن الدين، خاصة الدين الإسلامى توجد به فوارق فى الرؤى السياسية بين الحضارات المختلفة.

وتصل هذه النظرية بعد ذلك إلى القول بأن العولمة، و ما نتج عنها من شعور بعدم الإحساس بالأمان، سيدفع المسلمين للاصطدام بالشعوب غير المسلمة، ووفقا لهذه النظرية فإن الإسلام يمثل الفكر المحافظ، ويضمر نوايا العنف وهو عدو للعالم غير المسلم!

تقول الدراسة: إن الإسلام – كما فى الخيال الشعبى، أو فى عقول أصحاب نظرية الفوضى العالمية – هو كما جاء وصفه فى رواية جون بوتشان عام ١٩١٦ (هو عقيدة قتال) ورجل الدين فى الإسلام مازال يقف على المنبر ويحمل فى إحدى يديه المصحف، وفى اليد الأخرى يحمل السيف،ويرى أن الموت هو طريق المسلمين إلى الجنة.

نظرية الفوضى العالمية هذه تستحق أن نفهمها، لأن كثيرين فى الغرب يؤمنون بها، وهؤلاء يرون أن الإسلام غير قادر على التعايش مع الحضارات والديانات الأخرى فى عصر العولمة، لأن الثقافات والديانات تشتبك فى هذا العصر بشكل غير مسبوق، ويرون أيضا أن (الهوية) إذا قامت على أساس الدين، خاصة الدين الإسلامى،فإنها ستؤدى بدون شك إلى اندلاع الصراعات والنزاعات، ولذلك يرى أبرز المفكرين أن القوى الأيديولوجية سوف تعوق العولمة وستكون هى المصادر الأساسية للنزاعات العنيفة. وهذا ما جعل مفكرا مثل ليون هادر يصف الإسلام بأنه الخطر الأخضر.. بل وشبهه بالسرطان الذى ينتشر فى مختلف أرجاء الكون ويشكل تحديا لشرعية القيم الغربية، وقد دفع ذلك كله لإثارة موجة من القلق فى العالم الإسلامى بسبب الهيمنة الغربية، وأدى ذلك إلى معارضة كثير من المسلمين للحضارة الغربية وابتكاراتها الفكرية مثل الديمقراطية، والليبرالية. وهذا ما دفع المستشرق المعروف برنارد لويس إلى القول بأن العلمانية والعولمة تعارضهما موجة من الرفض فى العالم الإسلامى، وهذا ما يؤيده هنتنجتون حين قال: مادامت هناك مناطق فى العالم لا تقبل انتصار وتفوق الحضارة الغربية، فإن الصراع حتمى وإن مفهوم (الأمة) فى الإسلام يتعارض بشدة مع فكر التفوق والسيادة فى الغرب، وهذا ما يجعل الصراع أمرا لا مفر منه بين الحضارة

الإسلامية والعالم الغربى خاصة مع ظهور الحركات الأصولية الإسلامية التى تمثل حركات سياسية واجتماعية وثقافية، وتحاول إحياء الشعائر الإسلامية، وهى-لذلك-خطر كبير على العولمة! وعلاوة على ذلك-كما يرى هنتنجتون-فإن هناك ميلا وغزيرة إسلامية للصراع والعنف، كما هو ظاهر حاليا فى البلاد الإسلامية، مما يمثل مؤشرا على تزايد العنف فى علاقات الإسلام بالحضارات والديانات الأخرى!

وأخيرا يرى روبرت كابلان أن القيم الغربية نابعة من العلمانية، بينما القيم الإسلامية نابعة من الدين والاختلاف قد يؤدى إلى حروب، كما حدث فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا، والبلقان.. ويضاف إلى ذلك أن آثار الصراعات القديمة بين الإسلام والغرب مازالت مؤثرة فى الحاضر، كما ظهر فى يوغسلافيا. وفى النهاية يصل أصحاب هذا الفكر من هنتنجتون إلى برنارد لويس إلى روبرت كابلان إلى أن الغرب سوف يواجه بهجوم إسلامى انطلاقا من الادعاء بأن الإسلام كدين وأيديولوجية يعادى الغرب والعولمة معا، ومن الممكن أن يتوحد العالم الإسلامى فى غضبته ضد العولمة، ويحاول تحقيق حلمه الخاص بتفوق الإسلام، وسيبقى الإسلام حاجزا بين المسلمين وبقية العالم، كما سيبقى عاجزا عن القيام بدور فى المجتمع العالمى، وغير قادر على إفراز نظام حكم جيد.

والمشكلة عند أصحاب هذه النظرية أنهم ينطلقون من فكرة واحدة هى أن دور الدين يجب أن يتناقص مع تصاعد العولمة، وقد عبر عن ذلك بوضوح هارفى كوكس عام ١٩٦٥ فى كتاب بعنوان (المدينة العلمانية) قال فيه: إنه خلال عقود قليلة سوف يتحقق انهيار الدين إلى الحد الذى يجعل العالم يتحول إلى الإلحاد، وستحدث عملية تحويل للمجتمعات إلى الديمقراطية، والتعددية الثقافية، وتحديث المجتمع، ولكن هذه النظرية لم تثبت صحتها، لأن الدين مازال يمثل قوة اجتماعية وأيديولوجية، وتنتشر الحركات المعارضة للعلمانية فى مختلف أرجاء العالم بين غير المتدينين، كما تنتشر بين المتدينين بما فى ذلك الكنائس الأمريكية التى تحاول إحياء الشعور الدينى.

روبرت أليسون، مفكر أمريكى له كتاب بعنوان (اختفاء الهلال) قال فيه: إن الأمريكيين ورثوا عن أوروبا صورة شبح الإسلام كدين نشأ من الطغيان، ويؤيد

القمع الدينى والسياسى والجمود الاقتصادى، ويقول: إن الأمريكيين استسلموا لهذه الفكرة ولم يهتموا بالبحث.. هل هى صحيحة أو لا؟.. لأنها فكرة مناسبة لهم سياسيا، وقد استخدم الأمريكيون العالم الإسلامى مرارا وتكرارا كنقطة مرجعية لإظهار تميزهم وقوتهم، ويقول أيضا: إن الأمريكيين فى أثناء الأزمات يبتدعون أفكارا معادية للإسلام، وقد أصبح لديهم احتياطى كبير من النماذج السلبية فى العالم الإسلامى تعمل أجهزة الإعلام على ترسيخها وتثبيتها حتى أصبح لهذه القوالب الفكرية دور كبير فى صنع السياسة الأمريكية نحو الدول العربية والإسلامية، وفى هذا الاحتياطى من الصور والأفكار عن الإسلام لدى أمريكا ما يكفى لإثارة الخوف والشكوك، وترى الصفوة الحاكمة فى أمريكا أن الدين اعتقاد شخصى، وليس تنظيما كاملا لكل نواحى الحياة، كما يراه المسلمون، ولذلك يعتبرون (الظاهرة الإسلامية) ظاهرة مخالفة وغير عادية، وبالتالى يرون أن الإسلام دين مبهم ومتطرف ويمثل تهديدا دائما..

ويفسر ذلك جراهام فولر مدير مجلس المخابرات الأسبق بقوله: نحن شعب غير مؤهل ثقافيا لفهم السياسة الدينية، ولذلك يرى الأمريكيون أن المسلمين أعداء للديمقراطية، ويسعون إلى التوحد ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (الأنبياء: ٩٢) ويناضلون من أجل تحرير بلادهم، وهذا ما يفسر المخاوف فى ذهن الأمريكيين من (الجهاد) الذى يتحدث عنه المسلمون. وقد حدد المسئولون عن التخطيط الاستراتيجى بعض الدول الإسلامية، وبعض الجماعات فى قائمة الخطر القائم على الولايات المتحدة ومصالحها. وتعتبر أمريكا أن هذه الدول (الرجعية) و(الخارجة على القانون) و(الشريرة) ترعى الإرهاب وتجارة أسلحة الدمار الشامل، وأنها تستعمل لغة الأيدلوجية الإسلامية وتقدم مساعدات إلى المتطرفين الإسلاميين أعداء عملية السلام فى الشرق الأوسط، والنظم العربية الموالية للغرب.. وهذا ما جعل فريق العمل الخاص بالإرهاب والحرب غير التقليدية فى مجلس النواب الأمريكى يعد تقريرا أعلنه فى ١٩ مارس ١٩٩٠ وجاء فيه: إن المسجد هو الموقع المتقدم للجهاد الذى يبدأ منه المتطرفون (الجهاد) ضد الغرب، ومع أهمية النفط لاقتصاد الغرب فإن الصراع على الشرق الأوسط هو أول مواجهة بين الشكل الجديد للإسلام وبين العالم اليهودى - المسيحى وتنتشر

فكرة المواجهة بسبب رفض المتشددين الإسلاميين للنفوذ المتزايد للغرب فى المجتمعات الإسلامية.

والآراء المعارضة للإسلام تلقى رواجا فى أمريكا، مثل رأى عاموس بيرلوتر الذى يردد كثيرون ما قاله من أن طبيعة الإسلام تتعارض مع الديمقراطية، وتحتقر الثقافة السياسية الديمقراطية بأكملها وتتخذ منها موقف العداء، وأن الثقافة الإسلامية عدوانية، ومتشددة، وعنيفة تماما مثل الحركات الفاشية والبلشفية، والنازية، ولا يمكن أن تتوافق مع الغرب المسيحى العلمانى، وهذا ما يفرض على الولايات المتحدة وأد الاتجاه الإسلامى الذى يقول: إنه يعادى الغرب فى مهده!. وهذا ما عبّر عنه والتر ماكدوجال أحد مساعدى الرئيس الأسبق نيكسون حين دعا إلى تحالف أمريكا مع روسيا لحماية العالم المسيحى من عدو مشترك هو العالم الإسلامى. وكذلك عبّر عن هذا الاتجاه دانيال بابيس بقوله: إن الإسلام قوة متشددة رجعية مدفوعة بكراهية الفكر السياسى الغربى، ويقول: إننا فى الخط الأمامى لصراع يعود تاريخه إلى مئات السنين، لأننا الذين نقف ضد الذين يريدون إلقاء القيم الغربية فى البحر، كما فعلوا من قبل مع الصليبيين، وأن تحدى المسلمين للغرب أقوى من التحدى الشيوعى، فالمسلمون يخالفون سياستنا، ويقول بابيس: إن الإسلام ليس الخطر الجديد على الغرب فقط، ولكنه الخطر الجديد على العالم كله. ولذلك - كما يقول - يجب محاربة الإسلاميين وهزيمتهم، ويجب أن يتوقف اليسار الأمريكى عن اللغة اللينة التى يتحدث بها عن المسلمين، لأن (عصر الإسلام) ربما يكون على وشك أن يبدأ من جديد، ويكون الإسلام قد حل محل الأيديولوجيات الراديكالية العلمانية الأخرى، ويصبح بذلك هو الخطر الرئيسى، ولهذا يجب إيقاف المسلمين عند حدهم.

وقبل ذلك قال الفيلسوف الفرنسى المعروف ماكسيم رودينسون: إن المسيحية الغربية تنظر إلى العالم الإسلامى على أنه خطر أكثر من اعتباره مشكلة، وقبل ذلك ردد هذا الرأى المؤرخ البريطانى الراحل ألبرت حورانى الذى قال: إن الإسلام منذ ظهوره وهو يمثل مشكلة لأوربا، فالأوربيون ينظرون إلى الإسلام بمزيج من الخوف و الدهشة، ولذلك لم يستطيعوا أن يقبلوا محمدا (ﷺ)

على أنــه نبـى حقيقـى، أو يقبلـوا بصحـة الوحـى الـذى نـزل عليـه، ويـرون أن الإسـلام ديـن كـاذب، وتم نشـر الإسـلام بالسـيف، وكمـا قـال أحـد الغـزاة الصليبيين فى القرن الثالث عشر: لقد بـدأ الإسـلام بالسـيف، وانتشـر بالسـيف، وسينتهى بالسيف..

وهذا المعنى عبر عنه البروفيسور ريتشارد بوليـت الأسـتاذ بجامعـة كولومبيـا فقال: إن الأمريكيـين تقبلـوا بسـرعة فكـرة أن الثقافـة الإسـلامية فيـها العنـف والتطرف، ولذلك فلا يمكن قبولهـا أو التعـامل معـها، وقـد يـؤدى ذلـك التشـدد الأمريكى إلى ظهور نوع جديد من معاداة السامية يستند إلى الإسـلام بـدون دليـل أو برهان.

عَبر عن هذا المعنى أيضا الرئيس الأسبق ريجان حين قال: إنه يرى احتمـالات وقوع حرب دينية إذا عاد المسلمون إلى الفكرة القائلة بـأن الطريـق إلى الجنـة هـو الاستشهاد فى محاربة المسيحيين واليهود،ولم يدرك الرئيس ريجان طوال فترة رئاسته أن المسلمين لا يحاربون المسيحيين واليـهود، لأنـهم مسـيحيون ويـهود، ولكنهم يحـاربون الاحتـلال، لأنـه احتـلال، وليـس للاحتـلال ديـن، بدليـل أن المسلمين حاربوا احتلال صدام حسين للكويت، ولكن مجموعة التخطيط السياسـى فى وزارة الخارجية الأمريكيـة كشـفت أن القضيـة تكمـن فـى أن أنصـار الجنـاح المتشدد فى مؤسسة السياسة الخارجية يعملون على رسـم خـط علـى الرمـال ضـد الإسلاميين المتطرفين، وفى نفس الوقت فإن الرئيسين كارتر وريجان همـا اللـذان قدما المساعدات بالمال والسلاح للجماعات الإسلامية فـى أفغانسـتان عندمـا كـانت أمريكا تريد توظيف مقاومة هـذه الجماعـات للاتحـاد السـوفيتى لصالحـها، ثـم واجه كارتر الصدمة بقيام الثورة الإيرانية،ولم تكن صدمة، لأن سياسة الولايـات المتحدة كانت قائمة على اعتبار شاه إيران رجل بوليس لحماية المصالح الأمريكية فـى منطقـة الخليـج، ولذلـك كـان سـقوط الشـاه كارثـة اسـتراتيجية للولايـات المتحدة، وكارثة سياسية لكارتر نفسه، كما قال بريجنسكى نائب مستشار الأمـن القومى الأسبق..

ومن بين من عمل فى مجلس الأمن القومى – جارى سيك – اعـترف بـأن هنـاك تحيزا ثقافيا عميقا، وسوء فهم لدى الأمريكيين عن الإسلام. كما أن لديهم شعورًا

بأن هناك تناقضا بين نظامين للقيم والمفاهيم.. تناقض بين الموقف الإسلامى وهو موقف قائم على النظرة الدينية للعالم، وموقف أمريكا والغرب عموما وهو موقف قائم على العلمانية والمصالح، وبالرغم من أن كارتر والخمينى متدينان - كما قال جارى سيك - فإن الفارق بينهما كبير ولا يشتركان فى شىء.. فالخمينى - كما يقول - نموذج بدائى لنبى العصور الوسطى القادم من الصحراء متحمسا للحقيقة المطلقة، ويعبد إلها قاسيا منتقما يدعو أتباعه إلى ثأر العين بالعين، والسن بالسن جزاء لمخالفة أى إنسان للقانون الإلهى، وهذا النموذج الإسلامى يمزقه الحقد على كل من يتجاسر على معارضة نظرته.. وهكذا - كما يقول جارى سيك - فإن التوتر سيظل قائما بين المتدين والعلمانى، وسيؤدى ذلك دائما إلى فشل المسلمين والغربيين فى تفهم مخاوف وأمانى بعضهما البعض، لأن شقة الخلاف لا سبيل إلى تضييقها بين ثقافتين مختلفتين، بحيث تبدو أى محاولة لإيجاد تفاهم بينهما مستحيلة، ويبرر جارى سيك أفكاره بقوله: نحن جميعا أسرى افتراضاتنا ومسلماتنا الثقافية والشخصية، وهذا ما يجعل الأمريكيين يرون أن فكرة إقامة دولة إسلامية فكرة سخيفة، تتعارض مع التاريخ الحديث وهذا التاريخ نتاج الثقافة والتقاليد فى الغرب، ولذلك فإن صانعى السياسة الأمريكية ليسوا مستعدين للتعامل مع دولة يحكمها الدين ويرون أن ذلك أمر غير محتمل.

ومنذ سقوط شاه إيران انتشر وتعمق فى أمريكا والغرب شعور بالعداء للعالم الإسلامى بأسره، خاصة بعد استيلاء الإيرانيين على السفارة الأمريكية فى طهران واعتبار من فيها أسرى، فكان هذا الحادث بداية استغلها كثيرون لتعميق المخاوف والقلق من الإسلام والمسلمين، واعتبار الإسلام فى ذاته خطرا على المصالح والأهداف الأمريكية..

وقد حدث تحول فى عام ١٩٧٩ بالنسبة للموقف الأمريكى من الإسلام، ففى هذا العام قام الاتحاد السوفيتى بغزو أفغانستان، وعندئذ أجمع صانعو القرار الأمريكيون على أن الصدام الاستراتيجى الذى له الأولوية هو الصدام مع المعسكر الشيوعى، ويمكن تأجيل الصدام والمواجهة مع الإسلام، وكتب الرئيس كارتر فى يومياته: إن غزو السوفيت لأفغانستان يعتبر أخطر تطور يشهده العالم، ويمكن أن يهدد السلام منذ الحرب العالمية الثانية.. وهذا ما جعل الإدارة الأمريكية

تقوم بتعبئة المقاومة الإسلامية ضد السوفييت، وبدأت المخابرات الأمريكية فى قيادة هذه العملية بإثارة المشاعر المعادية للشيوعية، وقررت الاستعانة فى ذلك بمن أسمتهم (رجال الدين الأصوليين) ويقول بريجنسكى عن ذلك: كانت الولايات المتحدة تعمل على استغلال الإسلام واستخدامه ضد الاتحاد السوفيتى وكانت تحرض القادة الإسلاميين على محاربة القوى الراديكالية العلمانية الكافرة..

وفى عهد ريجان ظهرت عبارات العداء للإسلام والمسلمين على ألسنة المسئولين فى إدارته، وكان وزير الخارجية جورج شولتز يوجه الاتهامات إلى (الإسلام المتطرف)..

وكذلك كان وزير الدفاع كاسبار واينبرجر يتحدث عن التعصب والعداء للغرب عند المسلمين. وفى مناسبات عديدة استخدم ريجان نفسه لغة عدائية فى الحديث عن الإسلام والمسلمين، وعقب انتخابه فى عام ١٩٨٠ أجرى مقابلة مع مجلة تايم قال فيها: إن المسلمين يعتقدون أنهم إذا لم يقتلوا مسيحيا أو يهوديا فلن يدخلوا الجنة. وفى أعقاب غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ قدّم ريجان اقتراحا لإشراك المعتدلين العرب فى عملية السلام بين العرب وإسرائيل وقال: إن ذلك يجب أن يتم قبل أن تضع موجة الأصوليين الإسلاميين المعادين للسلام الحكومات العربية الموالية للغرب فى موقف الدفاع، وعندما أصدر ريجان أمره بقصف ليبيا عام ١٩٨٦ قال للشعب الأمريكى: إنه يضرب البربرية والإرهاب الإسلامى العالمى، وأكد نائب الرئيس دان كويل عام ١٩٩٠ على وجود صلة مباشرة بين الشيوعية والنازية، والأصولية الإسلامية.

وهكذا لم تكن الجماعات الإسلامية المتطرفة فى أفغانستان موضع رعاية ودعم مباشر من الولايات المتحدة إلى أن رحل الاحتلال السوفيتى من أفغانستان فرأت الولايات المتحدة أنهم مصدر إزعاج وقلق لها ولحلفائها، خاصة بعد أن بدأت الفصائل الأفغانية فى توجيه أسلحتهم ضد بعضهم البعض وضد أهداف عربية وأمريكية،ووجه أصدقاء أمريكا اللوم لها لأنها هى التى وضعت الأساس لشبكة الإرهاب باسم الإسلام.

وعندما جاء الرئيس جورج بوش الأب إلى السلطة عام ١٩٨٩ دارت فى مؤسسة الرئاسة والخارجية مناقشات حول الإسلام، ووصلت المناقشات إلى أن الحركات الإسلامية انتشرت فى أنحاء العالم العربى، وأدى ذلك إلى جعل الإسلام فى مقدمة اهتمامات السياسة الخارجية الأمريكية، ومعرفة ما إذا كان الإسلام يتمشى مع الديمقراطية أم لا ؟.. وتزايد قلق المسئولين فى إدارة بوش الأب بعد ما حقق الإسلاميون مكاسب فى الانتخابات فى بعض الدول العربية، وظهور حكومة الجبهة الإسلامية فى السودان، وارتبط فهم أمريكا للإسلاميين بانتهاء الحرب الباردة، والفراغ الاستراتيجى نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتى، وانتهاء حشد أمريكا لقواها لمحاربة (امبراطورية الشر) فى عصر الحرب الباردة، وهكذا بدأ بعض صناع الرأى والقرار فى أمريكا فى التفكير فى أن الإسلام يمكن أن يكون محل الشيوعية كعدو عالمى جديد، وبالتالى فهو الذى يجب أن يكون محور الاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة، وهذا ما عبّر عنه وزير الخارجية فى عهد بوش الأب حين قال: إن الأصولية الإسلامية متناقضة مع الغرب، ومع القيم الديمقراطية ومع مبادئ حرية التجارة، والمبادئ والقيم التى تؤمن بها أمريكا ودول الغرب،ولذلك فعلى أمريكا أن تتغاضى عن مسألة الديمقراطية مادامت ستخرج عنها الأصولية الإسلامية، وأن الحسابات الأمنية والاستراتيجية هى التى تدعو إلى شكوك الأمريكيين نحو الإسلاميين، ويبدو أن بعض المسئولين الأمريكيين يعتبرون الإسلام السياسى حركة شعبية ذات جذور تاريخية تشبه الحركات القومية الثورية فى العالم الثالث، وهى الحركات المناوئة لأمريكا، وأمريكا لا تقبل التحديات للنظام العالمى الذى تتولى قيادته، فإن هيبة أمريكا ومصالحها وحلفاءها وسمعتها هى التى تحرك سياساتها.

وكان أول بيان أمريكى واضح عن سياسة حكومة بوش الأب من الإسلام فى الخطاب الذى ألقاه مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى إدوارد ديجيريجيان فى ميريديان هاوس فى واشنطن فى يونيو ١٩٩٢، و قد هاجم فيه أولئك الذين يتخذون من العملية الديمقراطية مطية للوصول إلى السلطة لهدم الديمقراطية والانفراد بالسلطة الدكتاتورية بعد ذلك..

وأعلن مساعد وزير الخارجية تفسير خطاب بوش بأن نهاية الحرب الباردة جعلت الدعامتين الرئيسيتين للسياسة الأمريكية هما: حل النزاع العربي الإسرائيلي، والوصول إلى نفط الخليج، و هما على قمة الاهتمامات الأساسية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لعدة عقود من السنين.. ويضاف إليهما دعامة ثالثة هي مجموعة من القيم الأساسية مثل: تأييد حقوق الإنسان.. والتعددية الحزبية، والمشاركة الواسعة في الحكم.. ورفض التطرف.. ومحاربة الإرهاب..

وقال نائب وزير الخارجية أيضا: إن إدارة الرئيس بوش الأب لا ترى حتمية المواجهة بين الغرب والإسلام، ولا ترى أن الإسلام يهدد السلام العالمي، وترى أن هذا الفكر مفرط في السذاجة بالنسبة للواقع المعقد.. وترى الإدارة أيضا رفض القول بأن هناك تصادما بين الإسلام والغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأضاف: لقد انتهت الحروب الصليبية منذ وقت طويل، والأمريكيون يرون الإسلام قوة حضارية تاريخية من القوى التي أثرت على ثقافتنا وساهمت في إثرائها.. وقال: إن كان هناك اختلاف بين الأمريكيين وغموض شديد حول الجماعات التي تسعى لإصلاح مجتمعاتها وفقا للقيم الإسلامية، فإنه تجب التفرقة بين الجماعات الإسلامية المعتدلة والجماعات المتطرفة، وقال: إنه يمكن تفسير التطرف الإسلامي على أنه تعبير عن الإحباط، وعدم توافر فرص سياسية واجتماعية، ولذلك يجب رفض تفسير هذه الظاهرة الإسلامية على أنها تعبير عن كراهية للغرب نابعة من طبيعة الإسلام ذاته.

وكان الرئيس بوش الأب قد نجح في بناء التحالف لتحرير الكويت، واستطاع الرد على النقد الموجه من العرب بأن أمريكا تكيل بمكيالين بين العرب وإسرائيل، وذلك حين ضغط على حكومة الليكود برئاسة إسحق شامير للمشاركة في مؤتمر السلام في مدريد عام ١٩٩١.. وإيقاف بناء مستوطنات جديدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.. وبذلك أصبحت للولايات المتحدة الهيمنة في الشرق الأوسط وتزايد مؤيدو أمريكا في المنطقة وأصبحوا يتطلعون إليها من أجل الزعامة وتحقيق العدل والسلام في المنطقة..

وعندما جاء الرئيس بيل كلينتون إلى السلطة احتفظ بمساعد وزير الخارجية إدوارد ديجيريجيان مهندس سياسة سلطة الرئيس بوش الأب نحو الإسلام، وأعلن كلينتون أن البعض فى أمريكا يصرون على أن هناك عقبات دينية فى علاقات أمريكا والشرق الأوسط وأنه لا سبيل إلى تخطى هذه العقبات أو تحقيق الوئام بين الجانبين، وهؤلاء يرون أن الصدام بين معتقداتنا وثقافتنا حتمى لا محالة.. وأعتقد أن هؤلاء مخطئون، فأمريكا يجب أن ترفض فكرة حتمية الصدام بين الحضارتين، ويجب أن تحترم الإسلام.

واستمر كلينتون فى الاهتمام بعملية السلام بين العرب وإسرائيل، وتأمين النفط وتشجيع الديمقراطية،واقتصاد السوق، وفى فبراير ١٩٩٣ نظمت الحكومة الأمريكية ندوة لمدة أسبوع فى وزارة الخارجية حول السياسات الإسلامية، حضرها كبار صانعى السياسة، كما حضرها وزير الخارجية وارين كريستوفر ومادلين أولبرايت وكانت مندوبة أمريكا فى الأمم المتحدة وصدر بيان عن نتائج الندوة أعلنه مسئول فى البيت الأبيض قال فيه: لدينا سياسة نحو الإسلام والنزعة الإسلامية وكل ما فعلته الحكومة هو وضع مجموعة من النقاط للبحث لمعالجة المسألة الإسلامية وشكلت وزارة الخارجية مجموعة من المسئولين لدراسة هذه المسألة، وقد أحاط أعمال هذه المجموعة جو من السرية، ولم ينشر شىء عنها، أو عن نتائج أعمالها.. وبعد ذلك نظمت وزارة الخارجية مؤتمرا دعت إليه عددا كبيرا من المسئولين من مختلف الوكالات والهيئات لتعريف مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية وتوفير المعلومات والقدرات للتعامل بفاعلية مع الإسلام..

ويمكن معرفة سياسة إدارة كلينتون من خلال حديث كل من مستشار الأمن القومى فى ذلك الوقت انتونى ليك فى مايو ١٩٩٤، ومساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى روبرت بلليترو فى نفس الفترة من مايو ١٩٩٤..

وقال مستشار الأمن القومى: لقد واجه الشرق الأوسط خيارا بين طريقين، طريق يؤدى إلى مستقبل يسيطر فيه المتطرفون على أسلحة الدمار الشامل ويشكلون خطرا على إسرائيل وعلى أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة، وطريق آخر يؤدى إلى التقدم الديمقراطى، و الرخاء الاقتصادى، والاستقرار والأمن فى

المنطقة. فالتقسيم الجوهرى فى الشرق الأوسط يقوم على العنف والقمع والعزلة من ناحية، والسلام والحرية والحوار من ناحية أخرى، والصراع بين الاتجاهين صراع بين الخير والشر، ونحن مع الدول التى لها مواقف مشابهة لنا، وتشاركنا أهدافنا فى السوق الحرة، وتوسيع نطاق الديمقراطية، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل..

وقال الرئيس كلينتون أمام البرلمان الأردنى فى أكتوبر ١٩٩٤: إن الولايات المتحدة ترى أن هناك صراعا فى الشرق الأوسط بين الطغيان والحرية، بين الرعب والأمن، بين التعصب والتسامح، بين العزلة والانفتاح، وهو صراع قديم قدم الزمان بين الخوف والرخاء.. ورفض كلينتون فكرة صراع الحضارات والديانات، وقال المسئولون فى إدارته: إنه يفسر الإسلام السياسى تفسيرا أكثر تحررا وإن كان بلليترو قد أعلن أن التركيز على القيم التقليدية فى العالم الإسلامى يتعارض مع الغرب والقيم الغربية، وفى نفس الوقت أعلن كلينتون العكس وقال: إن القيم التقليدية تتمشى مع قيم الغرب، وتتفق القيم الإسلامية مع القيم الأمريكية من حيث التمسك بالدين، وصالح الأعمال، والحرص على الأسرة وعلى المجتمع، وقال: إن شعوبنا يمكن أن تعيش فى انسجام ووئام مع بعضها، وكثيرا ما كان كلينتون يستشهد بالتسامح الذى غرسه النبى محمد (ﷺ) فى أتباعه وأنصاره وتأثرت به الشعوب التى تؤمن بأديان أخرى.

وفى خطابه أمام البرلمان الأردنى ركّز كلينتون على أن أمريكا عليها أن تكون الجسر بين النظم الروحية المختلفة ولا تقوم بدور الدولة المحاربة، ويجب تنفيذ استراتيجية لدعم المعتدلين فى المجتمع الإسلامى، وغرس الإيمان بالتعايش والحوار.

وبعد شهور أكد كلينتون من جديد أن الإسلام قوة كبيرة للتسامح والاعتدال فى العالم، وتتمشى فيه النزعة التقليدية مع القيم الغربية، وأن الولايات المتحدة تحمل احتراما للإسلام، وتتمنى التعامل مع المسلمين لحماية الإسلام، وضمان مستقبل أفضل لنا ولهم.

وعندما زار كلينتون إندونيسيا عام ١٩٩٤ ذهب إلى المسجد الكبير فى العاصمة جاكارتا والقى كلمة قال فيها: حتى وإن كانت هناك بعض المشاكل مع الإرهاب

القادم من الشرق الأوسط، فإن الإرهاب لا يمت إلى الإسلام بصلة.. ولا يمت إلى دين أو ثقافة.

وقال مساعدو كلينتون: إنه يرى أن التطرف الإسلامى يتخذ الدين قناعا لإخفاء أهدافه للوصول إلى السلطة السياسية، ولذلك تجب التفرقة بين الإرهاب وبين المفاهيم والمبادئ الإسلامية الحقيقية، وقال مستشار وزارة الخارجية - تيموتى ويرث - فى الكونجرس: يجب ألا يسبب لنا سوء استخدام هذه الجماعات للغة السياسة الإسلامية أى خلط فى أذهاننا بين الإرهاب والإسلام.. ومشكلتنا ليست مع الإسلام أو المسلمين.. إنما مع العنف والإرهاب من أى شخص بغض النظر عن دينه وقوميته وسلالته..

هكذا كان هناك صوت فى أمريكا يرفض إيجاد صلة بين جرائم بعض المسلمين وبين الإسلام ومبادئه، ويرفض مبدأ المسئولية الجماعية لسائر المسلمين عن جرائم بعضهم.. وقال هؤلاء: يجب ألا نسمح لأعمال أقلية عنيفة من أية ملة بأن تشكل مواقفنا نحو شعوب بأكملها.. وقالوا أيضا: إن الولايات المتحدة تنظر بجدية إلى الدور المشروع للإسلام فى مجتمعات المنطقة بغض النظر عن تلاعب بعض المتطرفين بالمبادئ والقيم الإسلامية، ورفضوا ما يقوله بعض المفكرين من أن الإسلام حل محل الشيوعية فى العداء للغرب.. وقالوا: ليس هناك خلاف بين أمريكا والغرب والإسلام، فنحن نحترم الإسلام كأحد الأديان العظمى فى العالم وكحركة حضارية كبرى..

قالوا ذلك وأكثر منه.. وسمعنا.. وشعرنا بالأمان، ولكن الآن انقلبت الأحوال وأصبحنا نقرأ ونسمع أكثر ما يخالف ذلك من المسئولين والمفكرين..

لماذا انقلب الفكر فى دوائر صنع الرأى ودوائر صنع السياسات؟!

هل يكفى القول بأن أحداث ١١ سبتمبر هى السبب؟!..

هل يمكن أن يؤدى حادث واحد مهما تكن حجته إلى تغيير كامل فى سياسة دولة عظمى وبهذه السرعة.. تغيير هو فى حقيقته انقلاب.. من النقيض إلى النقيض؟.. هل يمكن أن يحدث ذلك فجأة.. أو أن هناك جذورا وأسبابا وعوامل

ساعدت على أن يكون هجوم ١١ سبتمبر هو الشرارة التى أشعلت النار التى كانت مختفية تحت الرماد؟!.

وهل هناك قوى لها مصالح فى إشعال الحرب على الإسلام والمسلمين.. والإيقاع بين الغرب والعالم الإسلامى؟!.

هل هذا الافتراض بعيد؟!..

ودور إسرائيل فى صناعة العداء للإسلام فى الغرب يؤكده الكاتب الإسرائيلى حاييم بارعام حين قال: إنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية، حاول زعماء إسرائيل حشد الولايات المتحدة وأوربا فى المعركة ضد الأصولية الإسلامية وصوروها على أنها أكبر عدو، وبأن القيمة الاستراتيجية لإسرائيل أنها تقف فى وجه هذا العدو، كما قال الرئيس الإسرائيلى الأسبق هرتزوج أمام البرلمان البولندى فى عام ١٩٩٢: إن وباء الأصولية الإسلامية ينتشر بسرعة.. وهذا الوباء لا يمثل خطرا على الشعب اليهودى فقط.. بل إنه خطر على البشرية جمعاء.. وقال شمعون بيريس رئيس الوزراء ووزير الخارجية الإسرائيلى السابق: لقد أصبحت الأصولية الإسلامية الخطر الأعظم فى عصرنا، وأن مساوئ الأصولية أكثر خطرا من النازية والشيوعية. وأن الأصولية الإسلامية تشبه الشيوعية فى اتباعها المبدأ المكيا فيلى بأن الغاية تبرر الوسيلة، وعلّق على هذه الحملة الإسرائيلية الين شيوليفو المسئول السابق بوزارة الخارجية الأمريكية بقوله: إن الحملة المعادية للإسلام فى الولايات المتحدة توحى بأن آراء الزعماء الإسرائيليين يتبناها أنصارهم وآخرون يزداد عددهم.

وإن كان المسئولون الأمريكيون ينكرون الدور الإسرائيلى فى صناعة العداء للإسلام والمسلمين فى الغرب عموما وفى أمريكا على وجه الخصوص. وقولهم: إن المصالح الأمريكية هى الاعتبار الوحيد فى صناعة السياسة الأمريكية تجاه المسلمين، فإن الواقع يقول: إن اللوبى الإسرائيلى له دور كبير. وإن العداء الأمريكى للمسلمين يرتبط بالمصالح الأمريكية حقا، ويدخل ضمن هذه المصالح

العلاقة الخاصة جدا بين أمريكا وإسرائيل، ومعاداة أمريكا لكل من يظهر العداء لإسرائيل، ولو بالإشارة، وهذا ما كان يقصده الرئيس السابق بيل كلينتون حين قال أمام البرلمان الأردنى فى أكتوبر ١٩٩٤: إن أمريكا سوف تتصدى لقوى الظلام التى تعارض عملية السلام بين العرب وإسرائيل، وكان الانطباع الذى أراد أن يتركه هو أن أمريكا تعادى من يعادى إسرائيل، وتحارب من يقف أمام سياسة إعادة تقسيم المنطقة وفرض السلام فيها وفقا لمطالب إسرائيل.

ولو أن موجة العداء والتهديد بالحرب كانت موجهة إلى الجماعات المتطرفة وحدها لكان ذلك مفهوما، ولكن فى الغرب من يعمل بدهاء وخبث على أن يبدأ العداء على أنه موجه إلى جماعات التطرف والإرهاب وحدها، ثم يمتد العداء، وتتسع الحرب لتشمل الإسلام ذاته والمسلمين ذاتهم..

وهذه هى المشكلة.

الأصابع الخفية وراء العداء للإسلام

قالت الإذاعة البريطانية يوم ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٢: إن الرئيس الأمريكى جورج بوش أغضب أنصاره بسبب عبارة قال فيها: إن الإسلام دين يقوم على أساس السلام والتعاطف مع الآخرين، وكان يقصد بذلك إزالة آثار العبارة التى أعلن فيها أن الولايات المتحدة سوف تشن حربا صليبية، وقال بعد ذلك إنها زلة لسان.

وذكرت الإذاعة البريطانية أن أنصار بوش المحافظين قالوا: إن الرئيس مخطئ فى توجهه للتقارب مع المسلمين، وكتب بول ويريتش، وهو أحد المحافظين البارزين: إن الإسلام فى حالة حرب مع أمريكا، والإسلام ليس دين سلام أو تسامح!! وذكرت الإذاعة البريطانية أن العديد من المحافظين يعلنون أن الرئيس بوش متردد فى قول الحقيقة تجاه الإسلام مخافة أن يزعج حلفاءه من العرب المعتدلين!

وفى أول يناير من عام ٢٠٠٣ نظمت الجمعية الإسلامية الأمريكية مؤتمرا فى ولاية شيكاغو تحت عنوان: (المسلمون فى أمريكا) حضره آلاف من أبناء الجالية الإسلامية الأمريكية لبحث أوضاع المسلمين الأمريكيين بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وكيفية مواجهة الاتجاهات والأفكار التى سادت الولايات المتحدة بعد هذه الأحداث، وتناول المؤتمر طبيعة المعركة التى يخوضها المسلمون الأمريكيون من أجل الحصول على الحقوق المدنية، وقال رئيس الجمعية الإسلامية الأمريكية فى كلمته: إن المسلمين الأمريكيين يمرون بفترة حرجة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، ويواجهون المصاعب، وقال د. زاهر بخارى أحد مسئولى الحلقة الإسلامية فى شمال أمريكا: إن المسلمين الأمريكيين يواجهون ثلاثة تحديات: التحدى الثقافى، وتحدى الهدف، وتحدى المنهجية، وأضاف: لقد

كان من السهل قبل هذه الأحداث الإجابة عن سؤال: ما هو الإسلام؟ بالقول بأنه دين السلام، ثم الحديث عن أركانه الخمسة، ومبادئه.. ولكن الأمر أصبح أكثر صعوبة بعد سبتمبر، فقد أصبحت الأسئلة أكثر تعبيرا عن الشك وسوء الفهم والتأثر بالأكاذيب التى يبثها الإعلام، حول مفهوم الجهاد والفتح، والحدود، ومن هم (الكافرون) فى نظر الإسلام؟ وكيف كان سلوك المسلمين مع غير المسلمين عبر التاريخ؟ وغير ذلك من الموضوعات والأسئلة التى لم تكن ورادة فى أذهان المواطنين الأمريكيين من قبل.

وكتب جراهام فولر مقالا يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢ قال فيه: إن التوتر بين العالم الإسلامى والغرب لم يكن أسوأ مما وصل إليه بعد أحداث سبتمبر، وإن أسامة بن لادن نجح فى إحداث مواجهة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة، على الرغم من أن الأثر البعيد لهجمات ١١ سبتمبر مازال غير واضح سواء بالنسبة للولايات المتحدة أم بالنسبة للشرق الأوسط، لكن الأمور سيئة للغاية وقد تسوء أكثر.. أما بالنسبة لبقية العالم فالنتائج تمثل كارثة، لأن الولايات المتحدة تمارس الآن نفوذا قويا وضغطا كبيرا على عدد كبير من دول العالم بطرق لا ترضى هذه الدول، وأصبحت المسائل الأمنية تحتل الأولوية الآن فى العلاقات الدولية قبل المساعدات الاقتصادية أو الاستثمارات أو التنمية البشرية، والإرهاب أصبح القضية الأولى على جدول أعمال أى مباحثات دولية.. أما بقية القضايا فأصبحت هامشية..

وبالنسبة للمسلمين – كما قال جراهام فولر– فإن الآثار أسوأ بكثير، يسبب الضغوط القوية التى تمارسها الولايات المتحدة على غالبية الدول الإسلامية، وخصوصا الدول العربية، وبعد أن أطاحت الولايات المتحدة بنظام طالبان، وكان ذلك ضربة لصالح باكستان، وأيضا يسبب اعتداءات الولايات المتحدة على العراق. كما أن علاقة الولايات المتحدة بالفلسطينيين وصلت إلى الأسوأ، وباسم الحرب على الإرهاب تعمل الولايات المتحدة جنبا إلى جنب مع أكثر الحكومات الإسرائيلية قسوة ويمينية. وإضافة إلى ذلك استفاد قادة روسيا والهند والصين والفلبين من الحرب على الإرهاب للانقضاض على الأقليات المسلمة فى بلادهم، وأصبحت علاقات روسيا والهند مع واشنطن أقوى مما كانت عليه لعقود طويلة..

واليوم تحوم الشبهات حول المسلمين أينما ذهبوا، ليس فى الولايات المتحدة فقط.. بل على مستوى العالم أيضا، والمسلمون فى الولايات المتحدة والغرب عموما أصبحوا تحت المراقبة الشديدة، وأصبح حصول المسلمين على تأشيرات إلى الدول الغربية مسألة صعبة، واستفاد بعض حكام الدول الإسلامية من الحرب على الإرهاب لتعزيز قبضتهم وقمعهم لشعوبهم، وهكذا فقد المسلمون حريتهم، وفى الولايات المتحدة تعزز موقف الجماعات المؤيدة لإسرائيل والجماعات المسيحية الصهيونية، وتيار المحافظين الجدد ذوى الأطماع الإمبريالية، وقد منحهم أسامة بن لادن سلاحا قويا، وزاد الهجوم الفكرى والسياسى ضد الإسلام والمسلمين ولم يعد من يحاول توضيح الموقف الإسلامى والعربى للأمريكيين قادرا على الحصول على فرصة لعرض هذا الموقف فى وسائل الإعلام، لأن هذه الوسائل مفتوحة لمن يتعاطفون مع الأفكار المعادية والتى تلصق الإرهاب بالإسلام، وينظر غالبية الغربيين إلى المدارس الدينية فى العالم الإسلامى على أنها مدارس لتدريب الإرهابيين، ومن الصعب الآن أن يجادل أحد لصالح الإسلام، ليس فى أمريكا وحدها، ولكن فى أى مكان فى الغرب.. وقد أثبتت نظرية هنتنجتون صحتها عن صراع الحضارات. وعلى المسلمين أن يدركوا المخاطر التى تنتج عن قناعتهم بأن (الفكر الجهادى) هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع الغرب أو مع أى شخص آخر، وأن الطريقة التى يفسرون بها تعاليم الإسلام وممارسة هذا التفسير سيكون لها أكبر الأثر على مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب، فهل سيأخذون بالتفسير الذى يشجع على العداوة أو بالتفسير الذى يتمشى مع العالم المتحضر؟.

هكذا يفكر الأمريكيون الآن.. إنهم يحمّلون المسلمين جميعا مسئولية جريمة ارتكبها عدد محدود من الإرهابيين، وانسياقا وراء هذا المفهوم يبررون العقاب الجماعى للمسلمين بإعلان الحرب عليهم، والتضييق عليهم فى التنقل والسفر، ووضعهم تحت المراقبة واعتبارهم مجرمين إلى أن يثبت العكس.

وهذا ما يؤكده الكاتب البريطانى فيكرام دود Vikram Dodd فى مقاله بجريدة الجارديان يوم ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٢ بعنوان: (المسلمون المعتدلون يخشون أن تؤدى الحرب إلى زيادة عزلتهم).. ويقول فيه: إن المجلس الإسلامى البريطانى حذّر من أن العدوان من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا سوف يساعد الإرهابيين وحدهم، كما حذّر الأمين العام للمجلس إقبال ساكرانى Sacranie: من إن الإسلام

محاط بالكراهية والغضب اللاعقلانى، ويقول الكاتب البريطانى تعليقا على هذه الحالة: يبدو أن إرهاب ١١ سبتمبر لم يهدم أكبر برجين فى العالم فقط، ولكنه هدم أبراجنا العالية من المساواة فى الحقوق، وكان رد الفعل هجمات بالسباب والضرب للمسلمين البريطانيين. وسوف تؤدى الحرب على العراق إلى مزيد من التمزق الاجتماعى، وقال الأمين العام للمجلس الإسلامى البريطانى أيضا: إن المسلمين فى بريطانيا منبوذون ومبعدون، وهم مطالبون بالاندماج فى المجتمع البريطانى، بينما المجتمع البريطانى يرفض اندماجهم، وقد صدرت تصريحات تسهم فى تعميق (الإسلاموفوبيا).. وقال أيضا: إن اعتقال عدد من المواطنين البريطانيين فى العالم لأنهم مسلمون يمثل خطأ كبيرا.

ويقول أيضا: لا يستطيع أحد أن ينكر أن المسلمين يتعرضون للضغوط والمضايقات بأشكال مختلفة فى الولايات المتحدة ودول أوربا، حتى إن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى (إف. بى. آى) كان المتحدث الرئيسى فى المؤتمر الكبير الذى عقده المجلس الإسلامى الأمريكى فى ٢٧ يونيو ٢٠٠٢ فى مدينة الإسكندرية بولاية فرجينيا، وقال فى كلمته أمام المؤتمر: إن أحداث ١١ سبتمبر أثرت بعمق على المسلمين الأمريكيين، وإن الجالية الإسلامية عانت من نتيجة هذه الهجمات، ووجد المسلمون الأمريكيون أنفسهم أهدافا للهجمات والتهديدات، وأعمال التمييز العنصرى، وواجهوا التشكيك فى إخلاصهم بسبب دينهم وأصولهم العرقية وتعرض مسلمون أمريكيون للشتائم، وألحقت أضرار ببعض المساجد، وانتهكت حرمتها، وتعرض عدد من المسلمين الأمريكيين للتهديد، وهوجم أفراد ليسوا مسلمين خطأ على أنهم مسلمون.. بل تم قتل البعض.. وعلق مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية على ذلك بقوله: إن هذه الهجمات ضدكم وضد أفراد جاليتكم، تستحق الشجب كالإرهاب.. بل إنها أيضا هجمات ضد الإنسانية. وتحدث بعد ذلك عن قلق المسلمين الأمريكيين وعن جرائم الكراهية ضدهم، وختم كلمته بمطالبة المسلمين الأمريكيين بالتعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى يعمل فيه ١١ ألف ضابط ولا يستطيعون مكافحة الإرهاب بدون هذه المساعدة كما فعل المضيفون والركاب الشجعان على الطائرة الأمريكية التى كان ضمن ركابها شخص إرهابى يخفى قنبلة فى حذائه وتغلبوا عليه، بينما هم يجتازون المحيط الأطلنطى فى رحلتهم من باريس إلى نيويورك.

وقال مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية: إننا نحتاج إلى مساعدة منكم لتعليم ضباط المكتب كيفية التعامل مع المجتمعات الإسلامية فى أمريكا وفى كل العالم، وكلما كانت معرفة المحققين بالثقافة الإسلامية أفضل، كانت تحقيقاتهم فعّالة أكثر. ومثال ذلك أن ضابطا من المكتب فى أطلنطا ذهب لمقابلة امرأتين من أصل أفغانى، وسارت المقابلة بصورة جيدة وعامل الضابط المرأتين باحترام، ولكنه وجد فيما بعد أنه انتهك التقاليد الأفغانية بالجلوس فى بيت هاتين السيدتين بدون حضور رجل أفغانى خلال المقابلة. وذهب اثنان من ضباط المكتب بعد ذلك للقاء أربعة مندوبين أفغان على مائدة عشاء لمعالجة الخلافات، وخرج الجميع وقد أدرك كل منهم أسباب القلق ووجهة نظر الآخر، وكانت النتيجة أن أعد مكتب التحقيقات الفيدرالية برنامجا باسم (مد الجسور وردم الفجوة) لتعريف الضباط بالتقاليد والثقافة الإسلامية.

وطالب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكيين المسلمين بالتعاون مع ضباط المكتب، كما تعاون الطيارون الأمريكيون من أصول أفريقية وحاربوا بشجاعة ضد الأعداء فى أجواء أوربا فى الحرب العالمية الثانية، ومثل الهنود من قبيلة (نفاهو) الذين وضعوا بلغتهم المعقدة - وهى على وشك الانقراض - شفرة سرية لقوات مشاة البحرية الأمريكية فى مسرح العمليات فى المحيط الهادى،وكانت شفرة لا يمكن حل رموزها أبدا.. وقال: واليوم تواجه أمريكا حربا عالمية جديدة أشد خطورة، وتواجه تهديدات مراوغة وتحركات تكتيكية متغيرة باستمرار للإرهابيين، وتواجه أعداء غير ظاهرين، وأسلحتهم هى أدوات الإرهاب من سيارات مفخخة وقنابل قذرة، والجبهة الأمامية لهذه الحرب هى أمريكا، وشوارعها ومدنها ومناطقها السكنية، وعلينا فى مكتب التحقيقات الفيدرالية أن نقوم بدورنا، ونحن نعتمد على الجالية الإسلامية الأمريكية لتقوم بدورها فى التعاون معنا.

وكان فى اعتراف مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية بما يلاقيه الأمريكيون المسلمون من سوء المعاملة ما يكفى للرد على من أنكروا وجودها.

وبول فندلى عضو الكونجرس لمدة ٢٢ عاما له كتابان: الأول بعنوان (من يجرؤ على الكلام) وقد ترجم إلى اللغة العربية تناول فيه تأثير اللوبى الصهيونى على

السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية، والكتاب الثانى بعنوان (كفى صمتا) تناول فيه تشويه صورة الإسلام فى أمريكا بصراحة فى مواجهة الضغوط التى يتعرض لها كل من يحاول إنصاف الإسلام فى أمريكا.

وبول فندلى حاصل على العديد من الجوائز، وعلى وسام من رتبة قائد وهو أرفع وسام فى ألمانيا، وحصل على جائزة أكاديمية لينكولن من جامعة إلينوى الأمريكية، وجائزة حقوق الإنسان من المنظمة الدولية لمكافحة التفرقة العنصرية، وجائزة المنتدى العربى الأمريكى المناهض للعنصرية، وألقى محاضرات عديدة فى الجامعات الأمريكية، وفى مصر، وكندا، وبريطانيا، وماليزيا، وجنوب أفريقيا، والأردن، واليمن، والإمارات، وحصل على العديد من درجات الدكتوراه الفخرية من جامعات لينكولن، وليندنوود، وإلينوى ومن جامعة صنعاء باليمن.

وفى كتابه (كفى صمتا) يقول: إن صورة العالم الإسلامى كانت غامضة فى ذهنه مثل كل الأمريكيين، ولم تساعد الحكومة الأمريكية على توضيح أو تصحيح هذه الصورة، ولكن زيارته إلى اليمن كانت نقطة تحول فى حياته، فقد اكتشف خلالها الحضارة الإسلامية، ولمس أن هذه الحضارة تعتمد على قيم الشرف والكرامة، وأن التسامح قيمة أساسية فيها، لا تختلف - كما كان يعتقد - عن أصول المسيحية التى ينتمى إليها، ويقول إنه لم يكن مهتما بالأقلية المسلمة فى أمريكا وإنجازاتها فى المجالات العلمية، والتجارية والأكاديمية، ولكنه بعد فوزه فى انتخابات الكونجرس عام ١٩٨٠ اتهمه خصومه السياسيون بمعاداة السامية بعد أن عرفوا علاقته بالعالم الإسلامى ومطالبته بحقوق الفلسطينيين فى بلدهم، وكلما قابل أمريكيا يهوديا كان يجد نفسه دائما فى موقف الدفاع عن أفكاره مما جعله يكتب هذا الكتاب.

ويقول بولى فندلى: إنه عندما كان فى السادسة من عمره كان يذهب إلى مدارس الأحد بمدينة (جاكسونفيل) بولاية إلينوى، وكانت المعلمة تلقن الأطفال معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين، فتقول: إن المسلمين شعب بدائى وعنيف، يعيش فى الصحارى، ويعبد إلها غريبا، وتكرر (أنهم ليسوا مثلنا)، ويعلق على ذلك بأن المعلمة هى أيضا تعلمت هذه الأفكار ممن سبقوها وهكذا..

ثم يقول: فى اليمن سألت مرافقى: هل تسمح حكومة إسلامية لغير المسلمين بممارسة عبادتهم، فرد عليه: طبعا، فالمسيحية وغيرها من الديانات موضع ترحيب، وحرية الأديان مكفولة، وأشار إلى كنيسة فى الطريق وقال: هذه واحدة وأمثالها كثير، ويعلق على ذلك بأنه اندهش لأنه لم يكن يعلم هذه الحقيقة وقد بلغ الثالثة والخمسين من عمره. وفى يوم الجمعة شاهد جموع المصلين فانبهر بالمشهد، وعندما زار المتحف الحربى فى صنعاء دهش عندما رأى فتاة تقوم بدور المرشدة، وعلم أنها طالبة فى كلية الصيدلة، وكانت ترتدى ملابس غربية بلا حرج.. ويقول: هذه الزيارة جعلتنى أبدأ فى الاهتمام بتفهم الإسلام والاختلاط بالمسلمين فى لوس أنجلوس، وشيكاغو، ونيويورك، وكذلك فى القاهرة، وجدة، وعمان، وماليزيا.. وفى نيوجرسى ذهب بول فندلى إلى المسجد فوجد مشهدا غير مألوف فى المجتمع الأمريكى هو وقوف المصلين من جميع الأجناس يصلون معا كتفا إلى كتف، وقابل شابا أمريكيا قال له: إنه اعتنق الإسلام وهو فى الأربعين من عمره، لأنه وجد فى هذا الدين الطمأنينة، واكتشف أن المرأة فى الإسلام لها كيان مستقل اقتصاديا واجتماعيا، ولا تأخذ اسم زوجها، كما أن لها ذمة مالية منفصلة، وتستقل بدخلها المالى، ولا تجبر على ضم أموالها إلى أموال زوجها، كما يحدث فى الغرب، ولذلك يقول بول فندلى: وجدت أن قيم العدالة والحرية هى أهم القيم الاجتماعية فى الإسلام. وأعجبت بحرص المسلمين على أداء الصلوات فى مواعيدها، وقال لى أحدهم: الصلاة صلة بالله ويجب أن نكون على صلة دائمة بالله..

ويتحدث بعد ذلك عن سيدة مسلمة تقوم بدور كبير فى الحياة الاجتماعية، هى السيدة نور نصير وهى خبيرة مالية، ورئيسة لمنتدى إسلامى دولى، هدفه تعميق روح التعايش بين أصحاب الديانات المختلفة، وزوجها (نور) باحث اقتصادى مولود بالمغرب، وسمع منهما آيات من القرآن لا تفرق بين الناس بسبب الدين أو الأصول العرقية وتذكر أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وأن حكمة الله فى الاختلاف بين الناس أن يتعارفوا لا أن يتصارعوا.. ويقول: وجدت أن من يقرأ القرآن فسوف يدرك على الفور أن ما يقال عن أن الإسلام دين عنف ليس إلا كذباً وافتراء، خاصة أنه وجد أن الإسلام يعترف بالدين المسيحى

وبالدين اليهودى، ولو تمت دراسة الإسلام دراسة جيدة فسوف يكتشفون الأصول الأخلاقية التى تقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وسوف تتوقف مدارس الأحد عن ترديد مقولة: (إن المسلمين ليسوا مثلنا) ويقول: إنه لاحظ أن بعض أصدقائه المسلمين لا يؤدون الصلاة بانتظام، وهؤلاء يشبهون بعض المسيحيين الذين لا يذهبون إلى الكنيسة إلا فى الأعياد، ومع ذلك فهم مسيحيون.. ويقول: إنه يتفق مع الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى أن المسيحيين يمكنهم أن يتعلموا الكثير من المسلمين، ويتفق مع ما قاله فى محاضرة جامعة اكسفورد عام ١٩٩٣ : إن الحضارة الإسلامية كانت حضارة عظيمة. وأسهمت فى تقدم الحضارة الغربية، وينقل عن الأمير تشارلز قوله: (إن الإسلام يمكنه اليوم أن يعلمنا وسيلة أفضل لفهم العالم والحياة فيه، بعد أن أصبحت المسيحية تعانى من وعكة، وأصبحت مهددة بالانقراض، ففى قلب الإسلام تكمن رؤية كلية للعالم، فالإسلام يرفض فصل الإنسان عن الطبيعة ويرفض فصل العلم عن الدين، ويرفض فصل العقل عن المادة، كما يحافظ الإسلام على رؤية موحدة للبشر وللعالم على السواء) وبسبب ما قاله عن الإسلام والمسلمين هُزم بول فندلى فى انتخابات الكونجرس عام ١٩٦٨.

ويروى بول فندلى كيف أن السود كان يجلبهم النخاسون ليعملوا عبيدا عند السادة البيض فى أمريكا، وكان أكثرهم مسلمين من أفريقيا، وكان أسيادهم يجبرونهم على ترك ديانتهم، ولذلك كانت أمريكا موطنا لأغلبية من المسلمين منذ القرن السادس عشر، ولكن هذه الحقيقة التاريخية لا يعرفها الأمريكيون، ولا يحبون الاعتراف بها.. ويشير إلى محمد على كلاى معجزة الملاكمة ومحبوب الجماهير فى جميع أنحاء العالم، وقد اعتنق الإسلام، وبعد اعتزاله بدأ الاهتمام بقضية حقوق الإنسان فى العالم، وبقضية السلام، ويعتبر محمد على كلاى وجها مشرفا للولايات المتحدة، قالت عنه (نيويورك تايمز): إنه بأخلاقه الرياضية غير عالم الرياضة فى العالم وأيضا بتسامحه الشديد، ودعوته إلى نبذ العنصرية التى كان يجسدها منافسه جو لويس.. ويذكر قول كلاى: (لو لم أكن مسلما لكنت قد أسلمت الآن وعلى الفور).. ويشير بول فندلى أيضا إلى اللاعب الأسطورى كريم عبد الجبار، وهو مسلم أمريكى من أصل

أفريقى، تم اختياره كواحد من أشهر لاعبى كرة السلة فى عام ١٩٩٥، ولاعب كرة السلة شريف عبد الرحيم الذى حقق بالفوز بطولات لفريقه، وتبرع بمائة ألف دولار للمدارس الإسلامية، ولويس فراخان زعيم جماعة أمة الإسلام الأمريكية التى تدير أكثر من مائة مسجد فى الولايات المتحدة، وأنشأ مدارس إسلامية.. وكانت بدايات هذه الجماعة مضطربة عقائديا، إلا أن ليونارد محمد تولى بعده زعامة (أمة الإسلام)، وأعلن أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وكانت هذه نقطة تحول فى تاريخ هذه الحركة نحو الإسلام الصحيح بعد الممارسات الغريبة عن الإسلام التى أدخلها لويس فراخان. ويؤكد بول فندلى - مستشهدا بالإحصائيات - أن مسلمى أمريكا هم الأقل من حيث معدلات البطالة، ومن حيث معدلات الجرائم، وكثير منهم لهم شهرة بتفوقهم العلمى والأدبى والتجارى، مثل أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء، وهو مصرى المولد، وجاء فى حيثيات الجائزة أن اختراعاته فتحت مجالا جديدا فى العلوم التكنولوجية، ثم يذكر أسماء كثيرة لعلماء مسلمين أمريكيين، منهم البروفيسور البرت شفيتزار أستاذ العلوم الإنسانية، ومدير معهد دراسات ثقافات العالم بجامعة نيويورك، والبروفيسور إبراهيم أبو لغد رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة نورث ويسترن بولاية إلينوى، والبروفيسور شريف بسيونى الأستاذ بجامعة دى بول بشيكاغو، والبروفيسور هشام شرابى الأستاذ بجامعة جورج تاون، والمخرج السينمائى المشهور مصطفى العقاد، وغيرهم كثيرون.

ويؤكد بول فندلى أن الجالية الإسلامية فى الولايات المتحدة من أكثر الجاليات نموا، وربما يكون ذلك سببا لما تلاقيه من متاعب.. ويركز على مكانة الأسرة فى الإسلام والترابط الوثيق بين أبناء العائلة، وشعور المسئولية لدى كل فرد عن أبويه وأفراد أسرته.. ويقول: إنه قضى سنواتٍ من الاتصال بالمسلمين فى مختلف دول العالم، لكن ذلك لم يكن كافيا ليكون ملماً بكل دقائق هذا العالم، إلا أنها جعلته يحكم على الإسلام والمسلمين حكما واقعيا، ويتفهم كيف أن الصورة سيئة فى الولايات المتحدة، حتى إن كل جريمة يرتكبها مسلم ينسبها البعض فى أمريكا إلى الإسلام والمسلمين، كما حدث مع المجرم ريجينالد كورى الذى اقتحم أحد البنوك فى مدينة (نيو آرك) فى يوليو ١٩٩٩، وصاح فى الجميع: بسم الله..

معى قنبلة.. ولا أتردد فى قتل نفسى معكم فى سبيل قضية الإسلام.. ضعوا كل الأموال فى حقيبتى.. وعلى الرغم من أن هذا الشخص مجرم ككل المجرمين من أى دين، فلا يمكن أن يؤدى إلى القول بأن الإسلام هو الذى قام بسرقة البنك، وقد كان رد فعل هذه الجريمة عنيفا ضد الإسلام، حتى إن أحد الأمريكيين حاول إشعال النار فى مركز كولورادو الإسلامى، وقام رجل آخر بإطلاق النار على مسجد بمدينة ممفيس، فأصيب المسجد بتلفيات، كما أصيب أحد المصلين، وقام بعض الأمريكيين المتطرفين بإلقاء القاذورات على المسلمين والوقوف أمام المساجد ليشربوا الخمر ويتعاطوا المخدرات، ويأتون بكلابهم للتبول على جدار المسجد!

ويذكر فندلى أنه بعد انتفاضة الأقصى فى أكتوبر ٢٠٠٠، وبينما كان المسلمون يؤدون الصلاة فى المركز الإسلامى بجنوب كاليفورنيا، قذف بعض الأمريكيين الحجارة على مبنى المسجد، فتناثر الزجاج على المصلين، وقال أحد مسلمى المنطقة: إنه من الضرورى أن يعرف هؤلاء الناس من نحن حتى لا نصبح أهدافا للتعصب كلما تأزمت الأمور فى الشرق الأوسط..

ويضيف أن بعض النماذج السيئة نشأت داخل الكونجرس نفسه، فإن هناك من يعمل على تشويه صورة الإسلام عند صناع القرار السياسى فى أمريكا، وقد نبه رالف برايانتى إلى ذلك عندما أشار إلى كتاب صدر فى أعقاب تفجير مبنى التجارة العالمى عام ١٩٩٣ من تأليف جوزيف بودانسكى، وهو محرر فى مجلة سلاح الطيران الإسرائيلى، وقال فيه بالنص: (إن الإرهاب الإسلامى قد أعلن الجهاد على الغرب عامة، وعلى الولايات المتحدة خاصة).. ويعلق فندلى على ذلك بأن مثل هذه الأقوال تزيد من مخاوف الأمريكيين، وترسخ الصورة السيئة عن الإسلام، حتى إن بعض السياسيين والمواطنين تناسوا أن دستور الولايات المتحدة دستور علمانى وأن أمريكا ليست دولة دينية، وأصبحوا يعلنون أن أمريكا دولة مسيحية، وأن الإسلام هو الخطر الذى يهددها بعد زوال الخطر الشيوعى، وحتى بين المفكرين والأكاديميين هناك من يردد هذه الأقوال، ويصوغها فى نظريات تبدو علمية، مثل عاموس بيرلموتر الذى أعلن أن الإسلام يشن حربا ضد المسيحية والصهيونية والرأسمالية الغربية. والبعض يجعل (الخطر الأخضر) أى

خطر الإسلام، و(الخطر الأصفر) أى خطر الصين، هما أكبر أعداء أمريكا فى هذه المرحلة.

ويتفق بول فندلى مع البروفيسور إدوارد سعيد، وهو أستاذ أمريكى مشهور بجامعة كولومبيا من أصل فلسطينى يحمل الجنسية المصرية والجنسية الأمريكية، ويتساءل: ماذا حدث للأكاديميين الأمريكيين من أمثال جوديث ميلر، وصامويل هنتنجتون، ومارتن كرامر وغيرهم، فقد أصبحوا يرددون أقوال ونظريات الأكاديميين الإسرائيليين عن خطر الإسلام، واعتباره التهديد الشامل للديمقراطية والليبرالية الاقتصادية الغربية، ويرددون أن الإسلام بطبعه معاد للسامية، ويكررون ذلك فى كل وسائل الإعلام التى ترحب دائما بهم وتريد المزيد فى هذا الاتجاه، حتى أصبحت كلمة الإسلام مرادفة للقتل والإرهاب فى الوعى الغربى، وهذه الأفكار - كما يقول فندلى - تنبت فى نفوس حاقدة على الإسلام، كما فعل ستيفن إمرسون فى برنامج تليفزيونى عرض فى عام ١٩٩٤ بعد تفجير مبنى التجارة العالمى، وكان عنوان البرنامج (الجهاد فى أمريكا: بحث فى التطرف الإسلامى فى الولايات المتحدة) وكان هذا البرنامج مسيئا للإسلام بشكل فج ووقح، وترك أثرا بالغا فى الوعى الجماهيرى، ورسخ مفهوم الإرهاب بوصفه مرادفا للإسلام.. وقد بدأ معدو البرنامج بتعريف الجهاد الإسلامى بأنه زرع قنابل موقوتة لقتل الأبرياء فى كل مكان فى العالم، وكانت الرسالة التى عمل البرنامج على توصيلها إلى المشاهدين أن الأصولية الإسلامية هى الخطر الأعظم على الدول الغربية وعلى الديمقراطية..

وقد حاول أندرو بيترسون فى كتابه (الدفاع عن الإسلام) شرح مفهوم الجهاد فى الإسلام على أنه جهاد النفس لفعل الخير، وهو جهاد ضد الظلم، ودفاع عن النفس أمام الاعتداء على المسلمين، ولكن (إمرسون) فعل بالإسلام فى برامجه فى التليفزيون ما كان يفعله السيناتور جوزيف مكارثى أيام موجة المكارثية فى الخمسينات من القرن العشرين فى هجومه الضارى على الشيوعية والاشتراكية، فلقد اتهم مكارثى موظفى الحكومة الأمريكية - أو بعضهم - بعدم الولاء لأمريكا، وبالتجسس لحساب الاتحاد السوفيتى، وكذلك فعل إمرسون فى برامجه مؤكدا على أن مسلمى الولايات المتحدة يتلقون مساعدات مالية من

الخارج. ويحاولون تكوين امبراطورية إسلامية فى أمريكا (!) وليس ذلك فقط.. بل إن إمرسون ظل يكرر فى برامجه التحذير من وجود ميليشيات عسكرية إسلامية منتشرة فى أنحاء كثيرة فى العالم وفى أمريكا، ليقوموا بأعمال التخريب فى الدول الغربية، كما يؤكد إمرسون فى مقالاته التى يكتبها عن الخطر الإسلامى على أن المنظمات والجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة أصبحت مرتعا للأصوليين الإسلاميين، وأن الإرهاب يمتد من الخرطوم والقاهرة إلى بروكلين، ومن غزة إلى واشنطن (!).. ويقدم بول فندلى مثالا على ذلك من مقال فى صحيفة (وول ستريت) المعروفة، كتبه إمرسون ليؤكد فيه أن الإسلاميين يتخذون المساجد والجمعيات الإسلامية فى أمريكا المقار التحتية لنشاطهم الإرهابى.

ويتساءل بول فندلى: كيف انتشر تعبير الأصولية الإسلامية فى جميع وسائل الإعلام فى دول الغرب تعبيرا عن الصورة السيئة للإسلام، مع أن هذا المصطلح لا يعرفه الإسلام أصلا، ولم ينتشر إلا حديثا، وعلى أقلام وألسنة الغربيين أنفسهم؟ ويتساءل أيضا عن معنى ما حدث للمسلمين فى أعقاب تفجير مبنى أوكلاهوما، والإجماع على توجيه الاتهامات إلى المسلمين مما أدى إلى حالة من الكراهية عمت الشارع الأمريكى؟ ونتيجة لذلك تعرض المسلمون لمضايقات كثيرة، وكان المحققون يأمرون باعتقال أعداد كبيرة لمجرد أنهم من أصول عربية وأن دينهم الإسلام! ثم أثبت التحقيق أن المسلمين أبرياء، وأن الذى فجر المبنى هو الأمريكى المسيحى تيموثى ماكفاى، فهل قال أحد إن هذا هو الإرهاب المسيحى أو إن هذا هو الإرهاب الأمريكى؟.. ولولا أن الضابط تشارلز هانجر شاهد ماكفاى بعد الحادث يقود سيارته بسرعة، وبدون رخصة قيادة، ورأى أسلحة فى السيارة فقام بالقبض عليه، ولولا أن المصادفة كشفت الحقيقة ماذا كان سيحدث؟ يقول فندلى: لو لم يتم القبض بالمصادفة على ماكفاى كانت ستسود ادعاءات إمرسون وغيره من جهابذة وخبراء الإرهاب الذين رددوا بثقة أن الإسلام وراء هذه الجريمة.

ويقول: إن أسامة بن لادن أساء إلى الإسلام والمسلمين أكثر مما أساء إمرسون وأمثاله، فقد ظهر ابن لادن بعد حادث أوكلاهوما فى برنامج على شبكة (بى.بى.سى)، وكان البرنامج يتحدث عن ابن لادن على أنه المدافع

عن الإسلام، وكانت عبارات ابن لادن دموية وشريرة تدعو إلى قتل الأمريكيين في كل مكان، وقال ابن لادن: إن أمريكا هي العدو الوحيد للإسلام، وقد ساد الرعب الجالية الإسلامية بسبب هذه التصريحات التي أدت إلى زيادة تيار العداء لهم.. وبذلك تعرض مواطنون أمريكيون للغضب والإهانة دون سبب سوى أنهم مسلمون، وبعد هذا البرنامج ظل المسلمون الأمريكيون يتلقون رسائل ومكالمات تهديد بالقتل، وتعرضوا لمضايقات في العمل والشارع والاجتماعات.. إلخ.. وأخرجت هوليود عشرات الأفلام تسيء للإسلام وللعرب، وتصور المسلمين في أبشع صورة، وأسهمت بذلك في ترسيخ الصورة السيئة عن الإسلام والمسلمين.

ويروى بول فندلى أن حوارا دار مع ستة ركاب في الطائرة أثناء رحلة إلى شيكاغو أجمعوا على أن الإسلام هو الخطر الحالى الذى يواجه الولايات المتحدة.

ويصل بول فندلى إلى الحقيقة المسكوت عنها في أمريكا، فيقول: إن أعضاء اللوبى الصهيونى فى أمريكا يساهمون فى نشر نماذج وصور سيئة عن الإسلام والمسلمين، ويصورون الإسلام دائما على أنه دين عنف، وسفك دماء، والمسلمين على أنهم مجرمون وإرهابيون، ويفسر ذلك بأنهم يستخدمون الهجوم على الإسلام والمسلمين كاستراتيجية لتبرير ممارسات العنف غير الشرعية التى تمارسها السلطات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، كما أنهم يحصلون بهذه الحملة على دعم كبير ومستمر بالمال والأسلحة والتكنولوجيا المتقدمة من الولايات المتحدة للدولة الإسرائيلية.. وينقل عن أحد كبار الضباط الأمريكيين واسمه جون بيرد أن هذا الدعم الأعمى من أمريكا لإسرائيل وتغلغل اللوبى الصهيونى في السياسة الأمريكية له آثار سلبية على أمريكا، فإنه يؤدى إلى تدمير المصالح الأمريكية فى مناطق كثيرة، منها الدول العربية، ويجعل الولايات المتحدة تبدو فى المحافل الدولية فى صورة الدولة الظالمة، خاصة بعد أن قامت أمريكا بالاعتراض عدة مرات على محاولات الأمم المتحدة لإرسال مراقبين لحماية أرواح المدنيين الفلسطينيين من بطش القوات الإسرائيلية.

ويقول: إذا سمحنا بالربط بين الدين الإسلامى والإرهاب، لمجرد أن هناك إرهابيين مسلمين، فإن ذلك سيؤدى إلى إدانة الدين المسيحى والدين اليهودى

بالإرهاب، لأن هناك حوادث يرتكبها إرهابيون مسيحيون ويهود، بينما الحقيقة التى يجب أن تكون ماثلة دائما أن الأديان السماوية لا تدعو إلا للحب والخير والسلام والعدل بين البشر أجمعين، ويستشهد بما قاله ديفيد ووترز أحد الكتاب الدينيين: (فى أمريكا عندما نفكر فى الإسلام نستحضر على الفور الصورة التى تبثها وسائل الإعلام وتصور فيها العنف. ومعظم ما تبثه وسائل الإعلام الأمريكية يتضمن معلومات خاطئة وبعيدة عن حقيقة الإسلام)..

وهكذا وجدنا فى أمريكا من يقول الحقيقة، وهذا شىء نادر الآن، ولذلك سمى كتابه (كفى صمتا) أو (لا تستمروا فى الصمت أكثر من ذلك) Silent no more وإن كان قد دفع ثمن إعلان كلمة الحق فى وقت يسود فيه الباطل فى بلاده..

ويقول بول فندلى: إن الأمريكيين يعتقدون أن حكومة (طالبان) هى النموذج الحقيقى لكل دولة إسلامية بسبب قلة معرفتهم بالإسلام، وهذا جعل مخاوف الغرب تتزايد حول مستقبل أية حكومة إسلامية يمكن أن تنشأ فى أى مكان فى العالم، لأن حكومة طالبان الهمجية شوهت صورة الإسلام أكثر مما فعل كل أعداء الإسلام، وأدى ذلك إلى مخاوف فى أمريكا من أن يندمج المسلمون الأمريكيون فى المجتمع الأمريكى، ويصلوا إلى مواقع مؤثرة فى السلطة والحكم فى المستقبل.

ويقول أيضا: إن الرأى العام الأمريكى يعتقد أن نظام الشورى الإسلامى غير ديمقراطى، لأنه يختلف عن النظام الأمريكى، وينقل ما قاله مراسل الإذاعة البريطانية رحيم الله بوسفراى: (إن الحكومات التى تطلق على نفسها اسم حكومات إسلامية ما هى إلا محاولات تصيب أو تخطئ، إلا أنها لا تصبح هى الإسلام.. وفى الحقيقة فإن هذه الحكومات ليست إسلامية)..

ويقول: إن الإسلام يحرم تعاطى المخدرات والاتجار فيها، بينما اقتصاد حكومة طالبان كان يعتمد على تجارة المخدرات، خاصة الهيروين والأفيون، وكانت تجارة المخدرات هى المصدر الرئيسى للدخل القومى فى أفغانستان فى فترة حكمهم، وقد بررت ذلك دينيا بحالة الفقر التى يعيش فيها الأفغان، وهذا غير صحيح، لأن كبار ملاك الأراضى هم الذين يتحكمون فى سوق المخدرات، ويعود ناتج هذه التجارة إليهم، ولم تتحسن أحوال الفقراء فى أفغانستان.. بل ازدادت سوءاً..

ويضاف إلى ذلك أن وضع المرأة فى نظام طالبان ونظرةَ الاحتقار وسوء المعاملة لها تجعل طالبان بعيدة عن الإسلام، فالقوانين التى منعت المرأة من الخروج بدون زوجها حتى فى الحالات الضرورية، وحظر لجوء المرأة إلى طبيب مع ندرة وجود طبيبات من النساء، وحرمان المرأة من التعليم واعتبار مشاهدة التلفزيون حراما شرعا، وأمثال هذه القوانين لا صلة لها بالإسلام، ولكنها أساءت إلى الإسلام فى العالم.

ويقول بول فندلى: إن إلقاء اللوم على الغرب وحده فى تشويه صورة الإسلام أمر غير موضوعى، حيث يوجد كثير من المسلمين يشوهون صورة الإسلام بممارساتهم السيئة، وتفسيرهم المضلل للنص القرآنى، وهؤلاء يتسمون بعدم التسامح، والتعصب، ومن ناحية أخرى فإن العالم الإسلامى كله يستحق اللوم بسبب سلبياته وعدم التصدى لما يسىء إلى دينهم، ولا يعملون بما فيه الكفاية لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام فى الغرب، وبهذه السلبية جعلوا الغرب يعتقد بصحة هذه الأكاذيب.

ومن أمثلة هذه الأكاذيب فكرة الغرب عن تحقير الإسلام للمرأة، وهذه الفكرة منتشرة حتى بين الأكاديميين. وهناك مئات الكتب وآلاف المقالات تردد هذه الفكرة، مثل كتاب (الزواج والأسرة) الذى كتبه (ديفيد نوكس) و(كارولين شاخت) الذى يدور حول مظاهر احتقار المرأة فى العالم الإسلامى، فلا يجوز لها أن تسبق زوجها أو أن تسير إلى جانبه ومكانها دائما فى المواقع الخلفية فى البيت وفى الاجتماعات، ولا يمكنها تناول الطعام إلا بعد أن يفرغ زوجها وأولادها الذكور من طعامهم لتأكل ما يتبقى منهم، ولا يمكنها الحديث مع زوجها فى وجود آخرين، وفى النهاية يقول المؤلفان إن الإسلام ينظر إلى المرأة على أنها (لا شىء)!

ويذكر واقعة عايشها، فقد طلب المعلم فى إحدى مدارس ولاية أوهايو من التلاميذ كتابة موضوع عن معاملة المرأة فى الشرق الأوسط ومقارنتها بمعاملة المرأة فى الولايات المتحدة، وذهب التلميذ المسلم (كريم) إلى والده وذكر له أنه كتب أن المرأة فى الشرق الأوسط فى وضع مهين وفق تعاليم الدين الإسلامى، وضرب أمثلة مما فى كتاب الزواج والأسرة، وذهل الأب المسلم وقال لابنه: لكن هذا غير

صحيح، فرد عليه الابن قائلا: أنا أعلم أنه غير صحيح، ولكنى إذا قلت غير ذلك فلن أحصل على درجات النجاح. كما أن المعلم عرض علينا فيلما يصور المرأة المسلمة فى أوضاع مهينة.. كذلك الحال بالنسبة لموضوع تعدد الزوجات، وتوجيه الاتهامات إلى الإسلام بسببه. ونظام تعدد الزوجات يثير فى الغرب الرفض على أساس أنه نظام بدائى يرجع إلى عصر العبودية. ولم يقتنع أحد ممن حضروا محاضرة للسفير الأردنى مازن النشاشيبى حين قال إن نظام تعدد الزوجات من دعائم الحياة القبلية الصحراوية ولكنه غير منتشر بكثرة فى المدن أو حتى فى الريف، وكانت له أسباب اجتماعية فى الماضى، وهو أمر اختيارى فى العقيدة وليس فرضا على كل مسلم.. بل إن قلة قليلة جدا من الرجال هى التى تجمع بين أكثر من زوجة فى وقت واحد.. ويذكر فندلى ما يثيره الحجاب والخمار فى نفوس الغربيين.. كما يذكر ما كتبته زينب البرى من أن منصب الرئيس ونائب الرئيس فى الولايات المتحدة مقصور على الرجال بينما وصلت المرأة فى بعض الدول الإسلامية إلى منصب الرئيس ورئيس الوزراء وهى أعلى مناصب السلطة والحكم، كما حدث فى إندونيسيا وبنجلاديش وباكستان وتركيا، وإن المرأة الأمريكية انتظرت مائة واثنين وثلاثين عاما لكى تحصل على حق التصويت بينما هذا الحق مكفول للمرأة فى معظم الدول الإسلامية.

ويتحدث عن موضوع آخر يثار كثيرا فى حملات الهجوم على الإسلام والمسلمين هو (ختان البنات) ويرى الغربيون أن ذلك يمثل جريمة ضد المرأة ترجع إلى العصور الهمجية، وينقل عن عدة مصادر إحصائيات تقول إن نسبة ٨٤٪ من الفتيات فى مصر تجرى لهن هذه العملية البشعة، ومعظم هذه العمليات تجرى فى البيوت بدون إشراف طبى مما يؤدى فى بعض الحالات إلى مضاعفات، وأحيانا تؤدى إلى الوفاة. ويذكر فندلى أن وزير الصحة المصرى د. إسماعيل سلام أعلن فى عام ١٩٩٨ تحريم ختان الإناث وقال: إنها ليست من الإسلام ولكنها عادة قديمة منذ أيام الفراعنة، فتعرض لهجوم الأصوليين، وتبين أن هذه العادة منتشرة بين مختلف الطبقات وتتم سرا، ويقول أخيراً: كلما زادت حالات الختان فى بلد فلابد أن تتأكد من سوء حالة البلاد الاجتماعية والتعليمية. وتقارير المنظمات الدولية تؤكد أن الختان ينتشر فى الدول ذات الأغلبية

المسلمة، والعكس صحيح، فالدول ذات الأغلبية المسيحية لا ينتشر فيها الختان، وكذلك إسرائيل.

وفى كتابه (من يجرؤ على الكلام) يذكر بول فندلى الضغوط والمؤامرات التى تعرض لها بعد كتاباته ومحاضراته لإنصاف الإسلام والمسلمين ومطالبته بحقوق للفلسطينيين، ويقول: بعد ١٩ عاما قضيتها عضوا فى الكونجرس قامت لجان العمل السياسى والأفراد الموالون لإسرائيل بتنظيم حملة ضدى فى انتخابات ١٩٧٩ وجمعوا تبرعات هائلة لذلك، ولكنى حصلت على الفوز بشق الأنفس فى انتخابات الحزب الجمهورى الأولية، ويقول: إنه فى هذه الحملة إكتشف التأثير الخفى للوبى الإسرائيلى على مسرح السياسة الأمريكية، حتى إن كبار السياسيين لا يستطيعون إعلان آرائهم خوفا من هذا اللوبى الإسرائيلى، ومن الاتهامات التى ستوجه إليهم فى الصحف اليهودية فى طول البلاد وعرضها، ومن تهمة العداء للسامية التى يمكن أن تقضى على مستقبل أى إنسان فى أمريكا.

ويقول: إنه كان على علاقة وثيقة مع الرئيس ريجان، ولكن أثناء حملة ريجان الانتخابية تلقى إنذارا من اللوبى الصهيونى بأنه إذا أظهر تقاربا مع بول فندلى فسوف يخسر أصوات نيويورك، وكان لهذا الإنذار تأثير على ريجان ومنظمى حملته الانتخابية، وحتى الفنان الكوميدى المعروف بوب هوب وافق على مساعدة بول فندلى فى حملته الانتخابية عام ١٩٨٠، ولكنه تراجع وأبلغ فندلى أنه يتعرض لضغط شديد من اليهود فى كل أنحاء البلاد، ووصل الأمر إلى حد أن محامى بوب اليهودى الذى يتولى أعماله لمدة ٣٥ عاما هدد بالتخلى عنه، وقال بوب هوب (إن الضغوط تتجاوز المعقول وليس لها مثيل من قبل)، وذكرت وكالة أنباء اسوشيتد برس أن أنصار إسرائيل الأمريكيين عادوا إلى صب الأموال فى حملة ملتهبة لإزاحة النائب بول فندلى عن مقعد الينوى الوسطى، وعلى الرغم من أن ريجان تشجع وعمل على مساعدته، كما تشجع جورج بوش وكان نائبا للرئيس وزميلا له فى مجلس النواب وحضر أحد المؤتمرات الانتخابية لتأييده، لكن اللوبى الصهيونى كان أقوى من الجميع. وخسر بول فندلى مقعده فى مجلس النواب الذى ظل يشغله ١٩ عاما بسبب قوله كلمة حق عن الإسلام والمسلمين، وعن حق الفلسطينيين فى وطن.

ويقول إن أكثر المنظمات تأثيرًا على الكونجرس الأمريكي هي اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك) وما أن يذكر اسم هذه اللجنة أمام أى عضو فى الكونجرس حتى يمتقع وجهه، لأن إيباك هى صاحبة السلطة الغالبة بين المجموعات الضاغطة فى أمريكا. حتى إنها هى التى تتحكم فى تصرفات الكونجرس الخاصة بالشرق الوسط. ويكاد جميع أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب يطيعون بلا استثناء أوامر هذه اللجنة لأنها القادرة على إنجاحهم فى الانتخابات أو القضاء عليهم، وقد أصبحت إيباك مرادفة للسلطة الطاغية.. وقالت عنها صحيفة نيويورك تايمز (إنها أقوى التجمعات ذات المصلحة فى السياسة الخارجية لأمريكا، وأحسنها إدارة، وأكثرها نفوذا فى واشنطن) وقال النائب السابق بول ماكلوسكى بصراحة أكثر (إن إيباك تُرهب الكونجرس) ولم يقل أحد مثل هذه العبارة الصريحة غيره وإن كان الكثيرون من أعضاء الكونجرس يتفقون معه فى الرأى سرا.

وإن كانت (إيباك) قد أصبحت أقوى المنظمات اليهودية، فإن هناك ٣٨ منظمة يهودية رئيسية أخرى مثل رابطة مكافحة التشهير، وبناى بريت، والصندوق الوطنى اليهودى، والنداء اليهودى الموحد، واللجنة الأمريكية اليهودية، وإيباك هى الجزء الظاهر للعيون من اللوبى الذى يعتمد نفوذه على المؤسسة التى بناها يهود أمريكا فى أنحاء البلاد وتعمل بواسطة أكثر من ٢٠٠ تجمع وطنى، وأشهر نشرة تصدرها (إيباك) اسمها (أخبار الشرق الأدنى) توزع على ٦٠ ألف شخصية كما توزع على الصحف وأعضاء الكونجرس وكبار المسئولين الحكوميين. ومن الناحية الفعلية فإن تجمعات اللوبى اليهودى فى أمريكا هى امتداد للحكومة الإسرائيلية. وقد اتضح ذلك عام ١٩٨١ عندما وزعت (إيباك) على أعضاء الكونجرس بيانا رسميا تدافع فيه عن قصف إسرائيل المفاعل النووى العراقى، ووصل هذا البيان إليهم قبل أن يصدر رئيس وزراء إسرائيل هذا البيان.

ويقول فندلى: لا تجادل أية منظمة يهودية فى التزامها علانية بالمواقف والسياسات التى تتخذها إسرائيل، والمثال على ذلك عندما أعلن الرئيس الأمريكى ريجان خطة السلام أيدها مدير (إيباك) التنفيذى توماس داين بحماسة شديدة، ولكن بمجرد أن رفضتها إسرائيل لزم الصمت ولم يقل كلمة عنها. ويذكر

فندلى (دون بيرجون) السفير الأمريكى السابق الذى قال: (إننا كنا فى وزارة الخارجية نتندر فنقول إذا أعلن رئيس وزراء إسرائيل يوما أن الأرض مسطحة وليست كروية فسوف يصدر الكونجرس قرارا بذلك خلال ٢٤ ساعة). وقال ستيفن روزنفيلد الكاتب الكبير فى صحيفة واشنطن بوست إن (إيباك) هى القوة السياسية اليهودية الرئيسية فى أمريكا اليوم.

ويضيف فندلى: بمرور السنين تغلغل اللوبى الموالى لإسرائيل فى نظام الحكم بأكمله، وحتى رئيس الولايات المتحدة يلجأ إلى (إيباك) كلما واجهته مشكلة سياسية معقدة لها علاقة بالنزاع العربى الإسرائيلى. وعندما واجه الرئيس ريجان معارضة علنية لوجود مشاة البحرية الأمريكيين فى لبنان فى أكتوبر ١٩٨٣ لجأ إلى (إيباك)، فساندته فى الكونجرس ومررت التشريع الذى كان يريد تمريره لمنحه سلطات واسعة تتجاوز قانون الحرب الأمريكى. وحين أراد ريجان زيادة المساعدات الخارجية ٧ مليارات دولار عام ١٩٨٣ ساعدته (إيباك) فى الحصول على موافقة الكونجرس. وصدر بيان من جون ولهيلم المدير التنفيذى للجنة الرئاسية التى وضعت هذا المشروع يحمل المديح والامتنان للوبى المؤيد لإسرائيل لموافقة الكونجرس على المساعدات الخارجية التى اقترحها الرئيس (!)

ويقول أيضا إن (إيباك) هى التى رسمت الاستراتيجية لزيادة المعونة الأمريكية لإسرائيل عام ١٩٨٣ رغم أن الحكومة عارضت هذه الزيادة، وعندما أعلنت إيباك أن هذه الزيادة مجرد اختبار لمعرفة من يقف مع إسرائيل ومن ضدها، لم يعترض أحد فى الكونجرس على الزيادة، وغلبت الحكومة على أمرها.!

ويقول فندلى إن (إيباك) ليس فيها غير عدد محدود من الموظفين، ولكنها تعمل بعدد كبير من المتطوعين المنضبطين، وبالتعاون مع رئيس الولايات المتحدة أحيانا، ويقتصر دورها على دعم سياسات إسرائيل دون صياغتها، ولذلك فهناك اتصال يومى بينها وبين السفارة الإسرائيلية فى واشنطن، كما يجتمع مديرها التنفيذى بمسئولى السفارة مرة فى الأسبوع على الأقل. والاجتماعات التى يعقدها أعضاء (إيباك) هى الوسيلة لحشد المجندين، ويشارك فى هذه الاجتماعات

الشخصيات الإسرائيلية والأمريكية البارزة (ويُذكر أن كلينتون كان يحضر هذه الاجتماعات وهو فى منصب الرئيس، وأن هيلارى كلينتون لم تحصل على تأييد إيباك لانتخابها عضوا بمجلس الشيوخ إلا بعد إلقائها خطابا فى مؤتمر نيويورك تراجعت فيه عن تصريحها بأن الفلسطينيين لهم الحق فى إقامة دولة) ويحضر هذه المؤتمرات السفير الإسرائيلى فى واشنطن، وكبار مساعدى الرئيس فى البيت الأبيض، وأعضاء بارزون فى مجلسى الشيوخ والنواب، ولم ينجح جورج بوش الأب فى انتخابات الرئاسة إلا بعد أن اجتمع مع المسئولين فى (إيباك) وهو نائب الرئيس ريجان وتعهد أمامهم بالاستمرار فى محاربة (اللاسامية) فى الأمم المتحدة، وإلغاء قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية، واتهم منافسيه فى الانتخابات عن الحزب الديمقراطى بالتساهل إزاء معاداة السامية.!

وأمام مؤتمر (إيباك) عام ١٩٨٣ وقف رئيس مؤتمر الحزب الجمهورى الخاص باختيار مرشحى الحزب فى انتخابات الكونجرس ووصف نفسه بأنه عضو فى (إيباك) بحكم الواقع. وحضر معه ٤٣ من أعضاء مجلس النواب و١٦ من أعضاء مجلس الشيوخ! وذكر نائب مدير (إيباك) آرت تشوتن أن المنظمة عقدت حلقات دراسية فى مختلف أنحاء أمريكا زودت فيها الفئة الموالية لإسرائيل بما يلزم من مهارات ليكون لها تأثير فعّال فى العمل السياسى لاختيار أصحاب الأصوات القوية المناصرة لإسرائيل. وتوثق (إيباك) علاقاتها مع جماعات وروابط مسيحية.. وقال مدير (إيباك) إن هدف هذه العلاقات (إدخال هذه الطوائف فى إيباك). وتقام (مائدة دينية سنوية لصلاة الفطور لأجل إسرائيل). وتعمل (إيباك) على نشر رسالتها بين آلاف الطلبة فى المدارس الثانوية والجامعات، وتنظم هى والهيئات اليهودية الأخرى رحلات إلى إسرائيل تساعد على إنشاء قاعدة شعبية لبرنامج (إيباك). وعلى سبيل المثال كانت رحلة ١٩٨٢ لمدة أسبوع واشترك فيها ١٥٠٠ يهودى أمريكى. وقال مسئول إيباك المسئول عن الرحلة (لقد أخذوا فكرة عن أروع ما يمكن أن يتصوروه فى أى بلد، وتركت أثرا عميقا. وخلقت روحا للقضية. وعادت بتبرعات) وقال أيضا: (إن المشرفين على الرحلة أعدوا لها على أساس علمى.. فهم يعرفون كيف يضغطون على كل الأزرار. ولذلك ملأت هذه الزيارة نفوس أفراد الرحلة بالرهبة. وهذه الرحلات دورية ومنتظمة. ولا تقتصر على اليهود فقط. بل إنها تشمل حكام الولايات. وأعضاء

فى الكونجرس، وأعضاء فى المجالس التشريعية فى الولايات، وزعماء الطوائف، وكبار الصحفيين ورجال الإعلام، وتنظم (إيباك) أيضا رحلات للقادة السياسيين فى الأحزاب والكونجرس، وبعض هذه الرحلات تتحمل الحكومة نفقاتها على أنها (رحلة عمل)، وهناك فئة أخرى قد يكون لها نفوذ محتمل ولا يفطن إليها أحد غالبا، هى فئة موظفى الكونجرس، وهؤلاء تعمل (إيباك) على التأثير عليهم وتنظم لهم رحلات مجانية إلى إسرائيل بالتعاون مع الجماعات الإسرائيلية، وتعمل (إيباك) فى نفس الوقت على إبعاد من تستطيع إبعادهم من المشاركين فى الحياة السياسية الأمريكية عن زيارة البلاد العربية، والذى يزور هذه البلاد تعمل على التأثير عليه قبل أو بعد الزيارة بوجهات نظر إسرائيل دون سواها. وعندما نظمت الجمعية الوطنية للأمريكيين المنحدرين من أصل عربى رحلة مجانية إلى الأردن دعت إليها جميع النواب الأمريكيين وزوجاتهم، استطاعت (إيباك) التأثير عليهم، فلم يذهب سوى ثلاثة نواب.. ولا تترك (إيباك) كلمة تنشر لإنصاف الإسلام أو الفلسطينيين إلا وترد عليها بمقالات مضادة، وفى عام ١٩٨٣ أصدرت كتابا أنيقا بعنوان (قائمة الأعداء: الحملة لتشويه إسرائيل) وتضم أسماء ٢١ منظمة و٣٩ شخصية تعتبرها (إيباك) أهم أعداء المصالح الإسرائيلية، وقد وضعت فى قائمة الأشرار شخصيات مهمة مثل وكيل وزارة الخارجية السابق جورج بول، والسفراء المتقاعدين سيلى وأندرو كيلجور وجون وست، وجيمس أكنز، والسيناتور السابق جيمس أبو رزق، وعدد من العلماء واليهود المنشقين.

وفى الوقت ذاته أصدرت رابطة مكافحة التشهير (بناى بريت) قائمة أخرى بأسماء الأعداء بعنوان (الدعاية الموالية للعرب فى أمريكا) ضمت أسماء ٣١ منظمة و٣٤ شخصية، وهذان الكتابان هما (القائمة السوداء) التى أعلنوا عليها الحرب فى كل مكان، وحكموا عليها بالفشل والندم.

ليس هذا كل شىء.

إن بول فندلى يقول أكثر من ذلك بكثير عن (إيباك). لكن ذلك قد يكفى للإجابة عن السؤال.!

أمريكا والإسلام !

هناك شبه إجماع بين مفكرى وقادة الغرب على أن إدارة الرئيس جورج دبليو بوش قد قامت بانقلاب فى السياسة الأمريكية، وغيَّرت التحالفات والتوجهات فجأة، وجعلت من أصدقاء الأمس أعداء اليوم، مما أثار المخاوف لدى أصدقاء اليوم من أن يصبحوا أعداء الغد.. مع غياب الضمان والأمان وتكرار التهديدات باستعمال القوة.

وبعد أن كانت الولايات المتحدة أكبر نصير للحريات أصبحت على رأس قائمة المنظمات العالمية لحقوق الإنسان باعتبارها أكبر دولة فى العالم تنتهك حقوق الإنسان، وتعتدى على الحريات فى الداخل بقوانين الأمن الأخيرة التى صدرت بعد ١١ سبتمبر. وفى الخارج بالتدخل فى الشئون الداخلية للدول وانتهاك السيادة وعدم احترام القوانين الدولية والاستهانة بالشرعية الدولية بينما تحارب عددا من الدول بحجة أنها لا تنفذ قرارات الشرعية الدولية ولا تقيم وزنا لسيادة القانون.

وكانت الولايات المتحدة النصير الأكبر للإسلام والمسلمين باعتبارها دولة علمانية لا تنحاز إلى دين ولا تعادى أحد الأديان، ولكنها أصبحت تعلن أنها دولة مسيحية، وتعلن انحيازها لليهودية والمسيحية وتزداد فيها أصوات العداء للإسلام والمسلمين.. وتصدر عنها تصريحات تستنكر فيها العداء للإسلام، بينما الأعمال والمواقف تشهد بعكس ذلك..

والدليل على ابتعاد الولايات المتحدة عن العالم الإسلامى أن مدير المخابرات المركزية الأمريكية جورج تينيت وقف فى حفل عشاء أقامه مركز نيكسون فى شهر ديسمبر ٢٠٠٢ وقال: إن على الولايات المتحدة أن تقترب من العالم

الإسلامى لكى تفوز بالحرب ضد الإرهاب، وقال أيضا: إن أمان دولتنا يتحقق بمراعاة التوازن.. وهذه الكلمات التى نقلتها وكالة أسوشيتد برس الأمريكية تدل أولا على أن هذا المسئول الكبير يعترف بأن الولايات المتحدة ابتعدت عن العالم الإسلامى، كما يعترف بأن السياسة الأمريكية الحالية تفتقد إلى التوازن، أى إنها سياسة منحازة وغير حكيمة.. وغير متوازنة.

ولقد سافر عدد من كبار المثقفين المصريين إلى الولايات المتحدة فى يناير ٢٠٠٢ وأجروا حوارات مع مجموعات من المثقفين الأمريكيين للتعرف على رؤيتهم لجوهر الأزمة القائمة فى العلاقات العربية الإسلامية-الأمريكية ومحاولة البحث عن الفرص والوسائل المتاحة لإصلاح ما فسد من هذه العلاقة عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وكانت هذه الرحلة بدعوة من الرئيس السابق بيل كلينتون الذى أنشأ مؤسسة أسماها (مؤسسة وليام جيفرسون كلينتون الرئاسية)، وكانت المجموعة المصرية مكونة من الدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور ميلاد حنا، وبعد عودتهما كتب الدكتور كمال أبو المجد ملخصا لما دار، وبدأ بما أثاره الحاضرون، وهم من الصفوة السياسية والأكاديمية فى الولايات المتحدة، حول طبيعة الإسلام كدين وحضارة وأسلوب حياة، وعما إذا كانت هذه الطبيعة تحمل فى نسيجها توجها عدوانيا يمكن أن يتصاعد ويصبح إرهابا، وترددت عبارة (الجهاد الإسلامى) على ألسنة الحاضرين.. بل كان عنوان إحدى الندوات فى نيويورك، وكان العنوان بالضبط هو (هل هناك جهاد إسلامى ضد أمريكا؟)، وعلق الدكتور أبو المجد على ذلك بأن هذا التساؤل يمثل (حالة) من التأثر بالصورة السلبية التى يقدمها الإعلام الأمريكى عن جميع العرب والمسلمين، وقد أصبحت حالة لا تفلح فى إصلاحها التصريحات الودية التى صدرت من بعض المسئولين الأمريكيين تجاه الإسلام، ودارت أحاديث حول ثلاثة أسباب لما أسموه (الإرهاب الإسلامى) أولها غياب المشاركة السياسية الحقيقية، وثانيها اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وثالثها انتشار التشرد الدينى الذى يحمل العداء للآخر سواء كان الآخر فى الداخل أم فى الخارج، بينما كان رأى الدكتور أبو المجد والدكتور ميلاد أن الأزمة بين العالم الإسلامى وأمريكا ليس الدين، ولكنها فى حقيقتها أزمة سياسية، فهى تعبير عن الإحباط الشديد، وخيبة الأمل والعجز عن فهم بعض السياسات والمواقف الأمريكية خصوصا فى الصراع

العربى الإسرائيلى، فالموقف الأمريكى منحاز لإسرائيل بصورة فجة وغير مسبوقة إلى حد استخدام الولايات المتحدة حق الفيتو فى مجلس الأمن على قرارات تمت صياغتها فى عبارات عامة وألفاظ فضفاضة ولا تتضمن إدانة صريحة لإسرائيل، على أمل أن تقبلها أمريكا كنوع من الترضية للعرب وللمسلمين ومراعاة مشاعرهم، وهذا الموقف الأمريكى يعطى لشارون أكثر بكثير مما ينتظره من الولايات المتحدة، وهل سمع أحد أو قرأ فى التاريخ أنه تم حصار زعيم أو رئيس فى مقره ومنعه من مغادرته كما تفعل الحكومة الإسرائيلية مع الرئيس عرفات، وفى نفس الوقت يطالبه خصمه وتطالبه أمريكا بأن يسيطر على شعبه وألا يفلت من سيطرته فرد واحد وإلا كان ذلك دليلا لا يناقش على مسئوليته الشخصية عن كل حادث عنف فردى يقع من واحد من شعبه!!.. وشارون يكرر أن الرئيس عرفات لم تعد له قيمة ولا تصدر من أمريكا إشارة تدل على الاعتراض على هذه الإهانات.. أليس ذلك كافيا لكى يُغرَس فى الشعب الفلسطينى والشعوب العربية إحساس عميق بالظلم والإهانة والاستخفاف؟ وهى مشاعر لا يستطيع أحد أن يمنع تحولها يوما ما إلى رغبة فى الثأر والانتقام.

ومن بين ما قاله الدكتور أبو المجد: إذا كانت مشاعر الغضب والإحباط قد أدت ببعض المسلمين إلى الفرار من الواقع بما فيه من مرارة، ومن الماضى بما فيه من أمجاد وانتصارات إسلامية، ومن المستقبل الذى يبدو غامضا، وانحازوا إلى مجتمعات مغلقة، انعزلوا فيها عن المجتمع، وأدت هذه العزلة إلى تكوين فقه خاص بهم أوصلهم إلى حرب لا تنتهى مع مجتمعاتهم أولا ثم مع العالم كله ثانيا، وقد تجاوزوا ذلك كله إلى الاستهانة بحرمة دماء الناس كلهم، ويفعلون ذلك وهم يظنون أنه (الجهاد) الذى شرعه الله للمسلمين، وأنه طريقهم إلى الجنة، لكن ذلك كله لا ينسب إلى الإسلام ولا يجوز أن يحاسب عليه سائر المسلمين، كما لو كانوا شركاء فيه، ذلك لأن المبدأ الإسلامى (لا تزر وازرة وزر أخرى) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وفى الفقه الجنائى فى الغرب مبدأ الجريمة شخصية والعقاب شخصى، فكيف تكون إدانة ملايين العرب والمسلمين لأن أفرادا منهم ارتكبوا أعمالا لم يستشيروا فيها أحدا ولم يقرهم عليها أحد..

وبالإضافة إلى ذلك فإن الحضارات ليست جامدة، ولكنها فى حركة وتطور.. وكما أن الحضارة الغربية تعيش الآن مرحلة مراجعة وتطور بعد الثورات العلمية والتكنولوجية الكبرى فإن الحضارة الإسلامية أيضا فى مرحلة مراجعة وتطور لمسايرة ما فى هذا العصر من طفرات فى كل المجالات. والمثقفون فى العالم العربى والإسلامى يمارسون منذ سنوات عملية مراجعة ونقد ذاتى بحثا عن طريق الإصلاح لأوضاعهم كلها، لكى تعيش المجتمعات الإسلامية فى الحاضر، وتعمل للمستقبل وتتخلص من الجمود والحياة فى الماضى. ولكن الغرب لا يدرك أهمية هذا الجدل الدائر عندنا حول تحديث المجتمعات العربية والإسلامية، وحول اكتشاف القيم المشتركة بين الأديان السماوية، وحول كيفية الالتحاق بعصر المعرفة وبالعولمة.

والمهم فيما قاله بعض المفكرين الأمريكيين من أن توجيه ضربات عسكرية إلى دول أخرى غير أفغانستان سيؤدى إلى تغيير طبيعة الحملة على الإرهاب التى بدأت بتصفية تنظيم القاعدة، ويتحول بها إلى مسار جديد هو تنفيذ استراتيجية سياسية للولايات المتحدة يستخدم شعار محاربة الإرهاب لتنفيذها، ويتجاوز حدود السلطة التى تملكها القوة الكبرى الوحيدة فى النظام العالمى الحالى.. ولاشك أنه أمر مثير للدهشة أن يعلن الرئيس الأمريكى عن احتمال توجيه ضربات عسكرية إلى ثلاث دول أسماها (محور الشر) هى العراق وإيران وكوريا الشمالية، وهى دول لا شىء يجمع بينها حتى توضع فى سلة واحدة.

وكل هذا يؤدى إلى حقيقة أن أمريكا لا تقود الحرب على الإرهاب والإرهابيين، ولكنها تقود الحرب على دول وشعوب.. وأنها هى أيضا تستخدم الإرهاب أحيانا.. وتستخدم الإسلام أحيانا أخرى.. وتستخدم موضوع احتمال وجود قدرات لإنتاج أسلحة الدمار الشامل.. وكل هذه حجج أو مبررات لا أكثر.. وكل حرب فى التاريخ لها أهداف معلنة وأهداف خفية، والأهداف الخفية هى الأهداف الحقيقية. وكل حرب لابد أن تدور تحت شعار براق عادل.. حرب من أجل القيم الديمقراطية.. حرب من أجل السلام.. حرب من أجل القضاء على الشر.. وهذا ما حدث فى الحروب العالمية الكبرى والحروب المحلية الصغيرة وحتى فى المعارك والصراعات المحلية داخل حدود الدولة.

الأهداف والشعارات المعلنة شيء.. والأهداف والنوايا الحقيقية شيء آخر.. ولا توجد حرب فى التاريخ ليس وراءها أطماع وبحث عن مكاسب سياسية واقتصادية. ليس هناك حرب للحرب.. وليس هناك حرب للتسلية.. وليس هناك حرب من أجل أهداف خيرية.. والشعوب لا تقبل التضحية بأبنائها وأموالها وقدراتها العسكرية تطوعا إنسانيا لعمل الخير.. الحرب تضحية كبرى.. ومغامرة.. وملحمة.. وخراب.. ودمار.. ودماء.. وأرواح.. فإذا لم يكن العائد منها يساوى كل ذلك فإن من يقوم بها مجنون!..

وعلينا أن نبحث لماذا الحرب؟

أجاب عن ذلك السؤال الكاتب الأمريكى توماس فريدمان فى نيويورك تايمز فقال: إنها حرب من أجل إحكام السيطرة الكاملة على بترول الشرق الأوسط..

والبروفيسور نعوم تشومسكى (٧٤ سنة) المفكر الأمريكى المشهور والأستاذ بجامعة بوسطن يرى أن الخطة سبق إعدادها قبل الأحداث الإرهابية فى سبتمبر، والعراق لديه ثانى أكبر احتياطى للبترول فى العالم، والولايات المتحدة تريد أن تستعيد السيطرة على هذا الاحتياطى، ولا علاقة لذلك بأسلحة الدمار الشامل، ولا بصدام حسين، وهى ستصل إلى هذا الهدف، ويمكنها بذلك هدم منظمة الأوبك، والتحكم فى إنتاج وأسعار النفط وفقا لما تريد، والقضية ليست مجرد حصول أمريكا على بترول العراق، لأن أمريكا ليست فى حاجة ملحة إليه، وهى تتوقع الاعتماد على موارد مضمونة أكثر فى حوض الأطلسى، ومع ذلك فإنها لن تستغنى عن بترول الشرق الأوسط، وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية فى الأربعينات أن بترول الشرق الأوسط مصدر هائل للقوة الاستراتيجية وأعظم غنيمة فى تاريخ العالم، وبالطبع فإن الولايات المتحدة تريد السيطرة على هذه الغنيمة بالكامل، وبذلك تكون هى المسيطرة على مصادر الطاقة فى العالم، وبذلك تكون هى المسيطرة على العالم.

ليس ذلك فقط.. بل إن تشومسكى يرى أن الحرب الأمريكية تعطى الإدارة الأمريكية الحالية قوة وتجعلها قادرة على إسكات الخصوم والمعارضة لأن (أمريكا فى حرب) ومن يعارض يصبح ضمن الطابور الخامس الذى يعمل لإضعاف

الروح المعنوية والتأثير على سير الحرب لصالح الأعداء، وبذلك يضمن الرئيس بوش موقفا أفضل فى انتخابات الرئاسة القادمة أفضل من الموقف الضعيف الذى لم يحقق فيه الفوز بالمعنى الحقيقى، ولاشك أن ذلك كان له تأثير عليه، والرئيس بوش يعمل من الآن على تغيير المناخ السياسى فى الولايات المتحدة وتحويل أصوات الجميع إلى مؤيدين له، وبالحرب يغطى على الأزمات الداخلية العاصفة، الأزمة الاقتصادية، وأزمة نقص اعتمادات الرعاية الاجتماعية والصحية، وأزمة انهيار شركات كبرى، وأزمة تراجع النمو الاقتصادى، وأزمة البطالة، وأزمة تفجر قضايا فساد التى تقترب من الرءوس الكبيرة وأولها نائب الرئيس ديك تشينى لمسئوليته عن فضيحة شركة إنرون.. وسياسة بوش أن يشغل الأمريكيين عن التفكير أو الحديث فى مشاكلهم، ويتابعوا تحركات الجيوش الأمريكية، وانتصارات راعى البقر وأعماله البطولية لإنقاذ أمريكا من خطر محيط بها!

هذا ما قاله تشومسكى فى حوار مع مقدم البرامج الشهير حافظ الميرازى، وقال: إن بوش يريد أن يحقق انتصارا مدويا قبل الحملة الانتخابية بوقت كافٍ، لكى يحتفل بالنصر احتفالا يغطى على كل الأزمات، وينسى به الأمريكيون ما فقدوه من أرواح أبنائهم، ويقدم لهم الوعد بالسير نحو انتصار ثان، وبذلك يضمن التصفيق فى طول البلاد وعرضها عندما يطوف بها فى دعايته الانتخابية.

المسألة إذن ليست الإرهاب.. وليست الإسلام.. بل ليست صدام حسين.. ولا أسلحة الدمار الشامل!

ويضيف تشومسكى فيقول: إن تزايد الكراهية للسياسة الأمريكية يجب أن يوضع فى الحسبان، وفى أيام حكم أيزنهاور كانت الإدارة الأمريكية قلقة جدا بسبب حملة الكراهية ضد أمريكا فى العالم العربى، ولم تكن الكراهية من الحكومات.. بل كانت من الشعوب، وكان هذا الموضوع محل بحث موسع فى مجلس الأمن القومى، وانتهى إلى أن سبب الكراهية أن أمريكا هى التى تعوق التنمية والديمقراطية فى العالم العربى لكى تحقق مصالحها، وكل ما يهمها هو السيطرة على المنطقة.. وقال تشومسكى: تذكروا أن الذين يعملون فى الإدارة

الأمريكية الآن هم الذين دعموا صدام حسين أثناء ارتكابه الفظائع التى يحكمون عليه بالإدانة الآن بسببها، ولم يكن شيء مما يفعله صدام حسين منذ تولى الحكم خافيا على أمريكا فى يوم من الأيام، ولم يسمع أحد اعتراضا واحدا من أمريكا على كل ما فعله بما فى ذلك برنامج التسليح الذى كان يتم تنفيذه أمام عيون الولايات المتحدة.

ولكن تشومسكى له رأى أخطر فيما يتعلق بمستقبل الدولة الفلسطينية.

تشومسكى يرى أن من أهداف الإدارة الأمريكية فى هذه الحرب تنفيذ مشروع بوش الأب، ففى ديسمبر ١٩٨٩ صادقت الإدارة الأمريكية على خطة بيكر، وهى تنفيذ مشروع الحكومة الائتلافية فى إسرائيل فى ذلك الوقت (حكومة شامير وبيريز) وكانت النقطة الأولى أنه من غير الممكن أن تتواجد دولة فلسطينية، بما يعنى تأييد المشروع الإسرائيلى القديم الذى يعتبر الأردن هو أصلا دولة فلسطينية، وأنه من غير الممكن أن تتواجد دولة فلسطينية ثانية..

ثم إن تشومسكى يعيدنا مرة أخرى إلى الحديث عن الحرب على الإسلام.

يقول تشومسكى: إن الولايات المتحدة-فى حقيقتها-مجتمع أصولى متدين إلى أبعد حد.. بل إنه من أكثر المجتمعات الأصولية فى العالم، حيث يؤمن ٤٠٪ من الأمريكيين بأن العالم خلق منذ ٦ آلاف سنة، ويكرر تشومسكى: إن الأصولية فى الولايات المتحدة أعلى من الأصولية فى إيران، وكانت الأصولية كتلة سلبية فى المجتمع الأمريكى لزمن طويل، لكنها الآن أصبحت أكثر نشاطا فى المجال السياسى، وأظن أن ذلك بدأ فى عهد إدارة كارتر، وقد أضفى كارتر عليها بعض الهيبة وتبنى مواقف شبيهة بمواقفها، وعندما جاء ريجان أدرك الأصوليون أن هذه فرصتهم، فقد كان ريجان مسيحيا أصوليا، أو ربما تظاهر بأنه كذلك، وأصبحت الأصولية الدينية ظاهرة مهمة فى الحياة السياسية الأمريكية فى تلك الفترة إلى أن جاء بوش الأب فوقف فى طريقها وعمل على كبح جماحها لأنه كان ليبراليا، وكان رجل دولة، وكان مختلفا عن الرجال الذين أحاطوا بريجان وكانوا مجموعة من الصقور المتطرفين.. ولكن اعتبارات السياسة هى التى تحكم تصرفات الإدارة الأمريكية، وإذا اقتضت المصالح الأمريكية إعلان الحرب على

دولة تسود فيها الأصولية المسيحية فلن تتردد، وقد حدث ذلك فعلا فى الثمانينات أثناء ما كان يسمى (الحرب الأولى على الإرهاب) عندما قامت الكنيسة الكاثوليكية بتبنى ما أسموه الموقف المنحاز للفقراء، ورأت المصالح الأمريكية أنه لابد من تدميرها، فبدأ الأمر باغتيال أحد الأساقفة، وانتهى باغتيال ستة مفكرين يسوعيين بارزين ثم أعقبهم اغتيال أعداد كبيرة، ثم عشرات الآلاف من المزارعين.

ويقول تشومسكى: إن تحويل أسامة بن لادن المعركة مع أمريكا إلى صراع دينى بين الإسلام والغرب يعجب اليمين المسيحى، الذى يسعى إلى خلق صراع بين الحضارات..

يقول تشومسكى: إن صدام الحضارات غير موجود، ولكن من الممكن إيجاده، وعلى سبيل المثال فقد أعلنت المخابرات الأمريكية أن صدام حسين لا يمثل أى خطر إرهابى، لكن هذا الخطر سوف يوجد (!).

ويفسر تشومسكى ذلك بأن الهجوم على العراق قد يؤدى إلى موجة من الإرهاب الإسلامى الراديكالى فى أنحاء العالم.. وهذا احتمال قائم.. وإذا حدث فسيكون الشرارة لصدام الحضارات الذى يسعى إليه المتطرفون.

أعتقد أن صراحة تشومسكى التى تقدم الحقائق عارية دون مواربة ودون مناورات هى التى تجعلنا نفهم ما تحت السطح فى السياسة الأمريكية، وما يقال عن صراع الحضارات، وحتمية الصدام بين الغرب والإسلام.

وليس تشومسكى فقط هو الذى يعلن الحقيقة بصراحة، فهناك من يعلن بصراحة أيضا أن الحرب فى حقيقتها حرب على الإسلام، وأنها التعبير العسكرى عن (الإسلاموفوبيا) التى أصبحت سائدة فى أمريكا أيضا، وعلى سبيل المثال فإن البروفيسور نيانج Nyang أستاذ الدراسات الأفريقية بجامعة هاوارد بواشنطن يقول: إن المسلمين يعاملون فى أمريكا الآن، كما كان الكاثوليك يعاملون فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فقد كان الكاثوليك مهاجرين من بلاد وأصول عرقية مختلفة، ولكن كان يُنظر إليهم، كما لو كانوا مجموعة واحدة، كذلك لا يدرك الأمريكيون الاختلافات بين المسلمين من حيث ثقافة كل

بلد من البلاد التى هاجروا منـها، أو من حيث المذهب الذى يعتنقونه (سنة أو شيعة أو غيرهما) ولا من حيث الأصول العرقية (عربا أو آسيويين أو أفارقة) ويرون المسلمين كتلة واحدة، وهذا أول مظهر من مظاهر الإسلاموفوبيا، أى مرض الخوف من الإسلام، ولذلك فإن المسلمين يواجهون الاضطهاد الذى كان يواجهه اليهود أثناء حملات معاداة السامية، والألمان أيام الحملة على النازية والأمريكيون الزنوج أيام التفرقة العنصرية..

والبروفيسور جميس بنينج Penning أستاذ العلوم السياسية بكلية كالفن بولاية ميتشجن يقول: إن المسلمين فى أمريكا يواجهون الإسلاموفوبيا ويعانون من سوء المعاملة، ولكن عليهم أن يواجهوا المأزق الذى هم فيه بشجاعة، فإن عليهم أن يعملوا على الاندماج فى المجتمع الأمريكى، ويشعروا هم أولا - لكى يشعر الآخرون أيضا - أنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الأمريكى وليسوا جماعة منفصلة تعيش فى أمريكا، وفى نفس الوقت عليهم أن يتحملوا المتاعب نتيجة رفض المجتمع الأمريكى اندماجهم فيه ومعاملتهم كسائر الأمريكيين، لأن المجتمع الأمريكى يطالبهم بالاندماج، ويضطهدهم لأنهم لا يندمجون ويصبحون أمريكيين مثل الأمريكيين، وفى نفس الوقت يرفض المجتمع إعطاءهم فرصة للاندماج، وعلى المسلمين أن يجدوا لأنفسهم حلا لهذه المعضلة..

ودليل على ما يقوله جيمس بنينج : أن عبد الرحمن العمودى المسئول فى المجلس الإسلامى الأمريكى قدم تبرعا لحملة انتخاب هيلارى كلينتون عضوا بمجلس الشيوخ عن نيويورك، ولكنها رفضت التبرع لأن العمودى سبق أن أعلن عبارة تأييد للفلسطينيين، ومرة أخرى قدم المجلس الإسلامى الأمريكى تبرعا لحملة انتخاب الرئيس الحالى بوش الابن فأعادوا إليه التبرع لنفس السبب كما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز، ومع ذلك أصدر المجلس الإسلامى الأمريكى بيانا طالب فيه الأمريكيين المسلمين بالمشاركة فى الانتخابات، وقال فى البيان (اجعلوا المرشحين والمسئولين يسمعون صوتنا)، ولكن المجتمع الأمريكى لم يرحب بهذا الاتجاه، ولم تجد هذه المشاركة ترحيبا حتى ممن أراد المسلمون تأييدهم فى الانتخابات.

ويفسر الدكتور ساشيدينا Sachedina – وهو أصلا من تنزانيا وتعلم فى إيران ويعمل أستاذا بجامعة فيرجينيا – هذه الظاهرة بأن اختلاف الثقافات يباعد بين المسلمين والأمريكيين، فالمهاجرون من بلاد إسلامية ينتمون إلى ثقافة سياسية أوتوقراطية لا تعرف مشاركة الشعب مشاركة حقيقية فى النظام السياسى، ويشعر المواطن فيها بأنه ليست له قيمة أو تأثير فى القرار، والإسلام يعلم أتباعه أن سلطة الحكم هبة من الله، والله يعطى لكل شعب الحكومة التى يستحقها، فالحكومة السيئة عقاب من الله، وموقف المسلمين سلبى من حكوماتهم، وشعارهم: إياكم أن تهزوا المركب، فقد تكون هذه الحكومة بسيئاتها أفضل من غيرها.. مثل هذه السلبية يقابلها المجتمع الأمريكى بالدهشة والاستنكار.. كذلك يواجه بالدهشة دعوة المجلس الإسلامى الأمريكى لأعضائه بأن يخرجوا من عزلتهم، ويشاركوا فى الحملات السياسية والحملات ضد المخدرات، والإيدز، والحمل فى سن المراهقة، والاشتباك مع الأحداث الاجتماعية اليومية..

المشكلة أن أغلبية المسلمين الأمريكيين من أصول أفريقية، وهؤلاء غير متعلمين ويصعب عليهم الاندماج فى مجتمع منظم، والاشتراك فى حوار ديمقراطى، بينما هناك مسلمون أمريكيون من أصول عربية فيهم كثير من المتعلمين، وبالطبع لا يمكن التفاهم بين المجموعتين مع وجود هذا الفارق الثقافى، والدكتورة ماكلود MaCloud مستشار المجلس الإسلامى الأمريكى تضيف سببا آخر هو أن بعض المسلمين البيض اكتسبوا من الأمريكيين النزعة العنصرية فلا يحبون مشاركة المسلمين السود مع أنهم هم الأغلبية.. وبذلك يخسر المسلمون البيض دعم هذه الأغلبية، وهذا ما يؤدى إلى عدم وجود كيان واحد وصوت واحد يعبر عن المسلمين فى أمريكا، ويدافع عن حقوقهم، مع أن المسلم الأمريكى الأسود المتعلم هو الأكثر فهما واندماجا فى المجتمع الأمريكى لأن وجوده أقدم.

هل أنت أمريكى أولا ومسلم ثانيا أو مسلم أولا وأمريكى ثانيا؟..

هذا السؤال هو محور المشكلة فى أمريكا كما هو محورها فى بريطانيا.. فى بريطانيا كان أول القتلى برصاص القوات البريطانية فى أفغانستان اثنين من تنظيم القاعدة تبين أنهما يحملان الجنسية البريطانية، وأنهما يقاتلان مع

طالبان (تلبية لنداء الإسلام) وأثيرت فى بريطانيا القضية على نطاق واسع، هل المسلمون المهاجرون الذين يعيشون فى بريطانيا ويحملون الجنسية البريطانية وأولادهم من الجيل الثانى ويجندون فى الجيش البريطانى، هل ولاؤهم للإسلام أو لبريطانيا؟.. وأجريت دراسات سألوا فيها أعدادا كبيرة من شباب المسلمين المولودين فى بريطانيا بعضهم مجندون فعلا وبعضهم على وشك التجنيد: إذا قامت حرب بين القوات البريطانية وقوات جيوش إسلامية.. هل تشارك إخوانك البريطانيين فى قتال المسلمين؟.. وكانت صدمة أن بعضهم أجاب بالنفى وقال: إنه لا يمكن أن يرفع السلاح لقتل مسلم، لأن المسلمين إخوة وارتفعت أصوات تقول: إذن فالمسلمون وأبناؤهم فى بريطانيا ليسوا بريطانيين، ولكنهم طابور خامس!

يحدث نفس الشيء تقريبا فى أمريكا.. خاصة أن أحد زعماء المسلمين السود أعلن أن المسلمين الأمريكيين السود يشعرون أن بلادهم الأصلية التى جاء منها آباؤهم وأجدادهم هى جنة الإسلام، وقد بدأ بعضهم يفضل السفر إلى هذه البلاد لتعلم الإسلام فيها، وبعضهم يشعر بأنهم متفوقون عن غيرهم من المسلمين البيض، ويعبر عن ذلك ظفر الدين أحد زعماء المسلمين السود فيقول: إن المسلمين السود فى أمريكا أصبح لهم (عقل أمريكى) وهو عقل ناقد يحلل ويفحص ولا يسلم بالأمور على علاتها، وثقافة السود تطورت نتيجة عصر العبودية وأصبحت أكثر قدرة على التحدى والمقاومة، ولذلك فإن إسلامهم إسلام أمريكى فريد ومتميز، لأنه لا يفهم أمريكا فهما حقيقيا إلا من ولد وعاش حياته فيها.

باختصار إن الحرب على الإسلام والمسلمين ليست خارج أمريكا فقط، ولكنها أيضا فى الداخل، وباختصار أكثر فإن المسلمين ليسوا فى نعيم لا فى داخل أمريكا ولا فى خارجها عندما يضطرون للتعامل معها، لأنها باختصار لا تحبهم!

لماذا لا يحبون المسلمين فى أمريكا وفى الغرب عموما؟.. الإجابة عند اوزدم سانبيرك تتلخص فى سببين: الأول أن الرأى العام فى الغرب لا يحصل على معلومات صحيحة عن الدول الإسلامية ولا يجد سوى الأفكار السطحية عن الإسلام، والسبب الثانى أن الرأى العام الأمريكى والأوروبى لديه استعداد للاستماع إلى ما يقوله المتشددون والمتطرفون الذين يقدمون أنفسهم على أنهم

زعماء إسلاميون، بينما صوت الإسلام الحقيقى المعتدل لا يصل إلى الرأى العام، وإذا وصل فإنه لا يلقى الاحترام، وهذا ما يسميه سانبيرك (التحامل الثقافى والدينى)، ويرى الغربيون عموما أنه ليست هناك دولة إسلامية عصرية تجمع بين الديمقراطية والتحديث، والدول الإسلامية لم تحقق نهضة صناعية ولا تقدما اقتصاديا، لأنها ليست أهلا لذلك.

ويشير سانبيرك إلى ملاحظة مهمة هى أن التطرف الموجود فى الدول الإسلامية ولد وتتم تغذيته من الدول الغربية، كما يشير إلى ملاحظة أخرى لا تقل أهمية هى أن نصف سكان مدينة كابول عاصمة أفغانستان قتلتهم طالبان والنصف الثانى قتلتهم القوات الأمريكية بغارات الطائرات التى لم تفرق بين أنصار طالبان وغيرهم.

ويصل فى النهاية إلى أنه يجب على الغرب الاعتراف بالحقوق الديمقراطية الطبيعية للشعوب الإسلامية أينما كانت بما لا يقل عما تحظى به حقوق غيرهم من شعوب الدول الغربية، وعلى الغرب أن يكف عن النظر إلى المسلمين على أنهم مختلفون عنهم اختلافا جوهريا، لأن هذه النظرة الاستعلائية سوف تسبب للغرب المزيد من الأضرار.

وفى النهاية.. هل الحرب التى تشنها أمريكا وتؤيدها الدول الأوربية حرب على الإرهاب.. أو على الإسلام؟.. أو هى حرب من أجل تأكيد السيادة الأمريكية فى النظام الجديد؟.. أو هى من أجل البترول؟.

ولن نفهم المسألة إلا إذا قرأنا المقال الخطير الذى كتبه وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد فى عدد مايو ٢٠٠٢ من مجلة (فورن أفيرز) وهى أكبر مجلة متخصصة فى الدراسات السياسية والاستراتيجية، وفى هذا المقال المنشور فى مايو ٢٠٠٢ بعنوان (تحويل الجيوش) قال صراحة: إن أمريكا سوف تحارب فى كل مكان للقضاء على عناصر الإرهاب، وعلى الفكر الذى يولد الإرهاب، وعلى النظم السياسية التى يمكن أن تؤيد الإرهاب الآن أو مستقبلا، وسوف تحارب بأحدث الأسلحة، كما ستدرب قواتها على الحرب بالأسلحة القديمة ليحاربوا بالطائرات والمدرعات والدبابات ويحاربوا أيضا بالبغال والحمير، وتسلق الجبال

على الأقدام، ولن تطبق نظرية «حربان فقط فى وقت واحد»، ولكن ستطبق نظرية جديدة بالاستعداد لإشعال حروب متعددة فى وقت واحد، والإبقاء على أربع قوات على الأقل مستعدة للحرب فى أربعة ميادين للقتال فى وقت واحد، مع القدرة على احتلال العواصم وتغيير أنظمة الحكم.

وقال رامسفيلد: إن الاستراتيجية الجديدة تتضمن التخلى عن سياسة (التهديد) وتنفيذ استراتيجية (تنفيذ التهديد فعلا).. ويقول: سوف نجعل أعداءنا يشعرون أنه ليست هناك نقطة فى العالم بعيدة عن متناول أيدينا، وليس هناك جبل، أو كهف، أو خندق، ولا طريق للهرب يمكن أن يمنعنا من الوصول إلى من نريد الوصول إليه.

وقال أيضا: إن هدفنا فى الاستراتيجية الجديدة التأثير على صناعة القرار عند الأعداء، وردعهم، ومنعهم من بناء أسلحة جديدة، وسيكون تواجد الأسطول الأمريكى كافيا لإقناع جميع الدول بعدم بناء أساطيل تنافسنا، لأن ذلك سيكون فوق طاقتهم، وسوف نعمل بنظامين: نظام علنى ونظام سرى، ونعمل بالتوازن بين الأسلحة التقليدية والأسلحة الحديثة جدا التى تعمل بالاستشعار عن بعد..

وأخيرا يقول رامسفيلد: يجب علينا عدم استبعاد أى شىء فى الحرب..

هل يكفى ذلك مما قاله وزير الدفاع أو نحتاج إلى ما هو أكثر لكى نفهم؟..

هل نفهم؟

خاتمة
ما العمل ؟

ليس هذا كل ما قيل عن الإسلام والمسلمين.

ما قيل ويقال هجوما على الإسلام يمكن أن يملأ عشرات الكتب، وقد تكون هناك فرصة أخرى لمواصلة عرض جانب آخر مما يقوله وما يفعله صناع العداء للإسلام. وأيضا ما يقوله المنصفون للإسلام فى الغرب لأن الأمانة تقتضى عرض مواقف المفكرين الذين أحسنوا فهم الإسلام فى الغرب وكتبوا عنه بإنصاف وسيكون ذلك موضوعا لكتاب آخر إن شاء الله.

ولابد من وقفة فى النهاية ليسأل كل منا نفسه، ويسأل مؤسسات وعلماء الإسلام: ما العمل؟

وبدون مجاملة أو مراوغة لابد أن نعترف بأن المؤسسات والعلماء والحكومات كلهم مقصرون فى شرح وتوضيح حقيقة الإسلام والدفاع عنه فى الغرب.

ومع ذلك فإن الفرصة لم تضع إذا خلصت النوايا وصدقت العزائم.

وهناك مشروعات يرددها المسئولون منذ عشرات السنين ولم تتحقق.. ربما لأننا نفضل حل المشاكل بالكلام وليس بالعمل.

وعلى سبيل المثال:

• إنشاء مركز للدراسات الاستشراقية. فليس معقولا أن يكون فى أمريكا وأوربا مئات المعاهد ومراكز الأبحاث وأقسام الدراسات العليا فى الجامعات لدراسة عقائد وحضارة ولغة وتاريخ المسلمين، ولا يكون فى العالم الإسلامى مركز واحد ليكون مرصدا لما يقال وما يكتب عن الإسلام فى الغرب.

• إصدار سلسلة كتب تشرح حقائق الإسلام وأحكامه بوضوح لغير المسلمين فى الغرب، على ألاّ تكون – مثل الكتب المؤلفة باللغة العربية – مليئة بالألفاظ الرنانة والعاطفية. وإنما تكون ملتزمة بالمنهج العلمى، وبأسلوب موضوعى، وتعرض الإسلام بالمنطق ومخاطبة العقول. وتصدر بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والروسية وغيرها. فليس معقولا أن يكون عدد المؤلفات التى أصدرها المستشرقون منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين أكثر من ٦٠ ألف كتاب وهى كما يقول عنها الدكتور محمود حمدى زقزوق – الأستاذ الأكاديمى ووزير الأوقاف – كلها طعن فى الإسلام، وتشكيك فى القرآن، وهجوم على النبى ﷺ ، وهدم فى حضارتنا وتراثنا..

ليس معقولا أن يكون فى الغرب كل هذه السموم ونكتفى بمؤتمر هنا أو هناك أو زيارة وفد أو وفدين، أو بنشر مقال أو عشر مقالات فى صحف أو مجلات عندنا أو عندهم.

ووزير الأوقاف هو الذى اقترح إنشاء مركز علمى لدراسة المتغيرات المعاصرة لمعرفة مكان الإسلام والمسلمين منها، وهو الذى أعلن ضرورة إصدار موسوعة إسلامية عالمية بالعربية وثلاث لغات أوربية على الأقل تعرض أحكام الإسلام عرضا علميا، وبطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة، وترد فى نفس الوقت على افتراءات ومزاعم الغرب التى يثيرها ضد الإسلام. وهذا العمل – كما قال الدكتور زقزوق – يقتضى تكوين هيئة إسلامية علمية عالمية، تضم خيرة العلماء من العالم الإسلامى، وتراعى الانتماء للإسلام وحدة، ولا تخضع للانتماءات الإقليمية الضيقة. وهو الذى اقترح ترجمة معانى القرآن ترجمة منزهة من الخلط والخطأ، وبكل اللغات.

والدكتور زقزوق هو الذى اقترح أن تتبنى مؤسسات الدعوة جمع التبرعات من العالم الإسلامى لتمويل هذه الأعمال.

وهو الذى طالب بإنشاء جهاز عالمى للدعوة الإسلامية فى أمريكا ودول أوربا، يمتد ليشمل الأقليات الإسلامية فى كل مكان، لأنها تتعرض لمخاطر الغزو الفكرى، والمحو المنظم لعقيدتنا وذاتيتنا، على أن يمتد دور هذا الجهاز أيضا إلى

رعاية الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين فى أوربا وأمريكا، وهذه أجيال من الشباب تنشأ دون أن يعرفوا لغاتهم الأصلية، وإذا أرادوا معرفة الإسلام لا يجدون أمامهم إلا كتب المستشرقين فى كل مكان يستقون معلوماتهم منها، ومعظمها تشكيك فى الإسلام..

لذلك فإن مهمة هذا الجهاز العالمى للدعوة، توضيح حقائق الإسلام بمنهج علمى: منطقى وعقلانى، وأيضا يدخل ضمن مهام هذا الجهاز حماية المسلمين بالوراثة ورعاية الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين الذين يعيشون فى الغرب.

وإذا كان هذا ما يقوله أستاذ ووزير مسئول، فما الذى يمنع من البدء فى العمل لتحقيق هذه المشروعات الكبرى..؟

وأضيف إلى ذلك ضرورة إيفاد بعثات إلى دول الغرب من علماء ومفكرين على دراية بما يوجه إلى الإسلام فى الغرب من انتقادات، ويجيدون الحوار والجدل باللغات الأجنبية، للقاء العلماء والأكاديميين، ورجال الإعلام والسياسة فى أمريكا ودول أوروبا، ولإيجاد صلات تسمح بالتفهم والتفاهم. كذلك من الضرورى توجيه الدعوة إلى القيادات الفكرية المؤثرة فى الدول الغربية لزيارتنا سواء من المتعاطفين مع الإسلام أم من صناع العداء له، ومن خلال اللقاءات مع كبار علماء الإسلام وأساتذة الجامعات يمكن توضيح أمور لا يستطيعون فهمها بدقة وهم بعيدون عن مراكز الفكر الإسلامى الحقيقى.

ولا نغفل أهمية بذل جهود سياسية ودبلوماسية من الدول والحكومات الإسلامية إلى جانب الجهود العلمية والثقافية والإعلامية وهناك مشروع قديم يتكرر احياؤه سنويا فى كل مؤتمر للقمة أو لوزراء الخارجية أو الإعلام فى العالم الإسلامى وهو إنشاء قناة فضائية لشرح حقائق الإسلام بجميع اللغات الأجنبية توجه إلى جميع شعوب العالم. وقد تكون هذه هى الفرصة ليظهر هذا المشروع إلى النور كاختبار لمدى جدية الدول الإسلامية فى الدفاع عن الإسلام.

وهنا لابد من وقفة مع المثقفين فى العالم الإسلامى، فإن عليهم فى الأساس المسئولية الأولى فى مواجهة فكر التطرف والإرهاب باسم الإسلام فى العالم الإسلامى، ومواجهة الكراهية والجهل بالإسلام فى الغرب وإن كانت هناك

جهود فردية فى هذين المجالين، إلا أنـها غـير كافيـة، وهـى جـهود مبعـثرة، وتحتاج إلى مؤسسة أو كيان ثقافى يشمل العالم الإسلامى، ليكـون منـارة هدايـة، ومركز إشعاع، للفكر الإسلامى المستنير.

ودعونا نأمل أن تتحول الأحلام إلى حقائق، وأن تتحول الأقوال إلى أفعال، وأن تتجمع الجهود المبعثرة فى كيان واحد، لكى يتحول حال الضعف إلى قوة، وحال التخلف إلى تقدم حضارى.. ولنقول:

هذا هو الإسلام على حقيقته.. وهؤلاء هم المسلمون حقا.

كتب أخرى للمؤلف

- البحث عن المستقبل.. المكتبة الأكاديمية ١٩٩٣.
- تاريخ ليس للبيع (طبعة ثانية).. دار المعارف ٢٠٠٠.
- الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام.. (طبعة ثانية) دار المعارف ١٩٩٦.
- ابتسامة صغيرة (مجموعة قصص).. هيئة الكتاب ١٩٩٧.
- الغرب والإسلام (طبعة ثانية).. دار المعارف ٢٠٠١.
- المصريون فى المرآة (سلسلة اقرأ) - دار المعارف ٢٠٠٠.
- الأقباط فى مصر والمهجر (طبعة ثالثة).. دار المعارف ٢٠٠٢.
- معجزات الخلق والخالق.. دار المعارف ٢٠٠١.
- رحلة إلى الصين.. دار المعارف ٢٠٠٢.
- هيكل بين الصحافة والسياسة.. دار المعارف ٢٠٠٤.
- أمريكا رؤية من الداخل.. دار المعارف ٢٠٠٤.